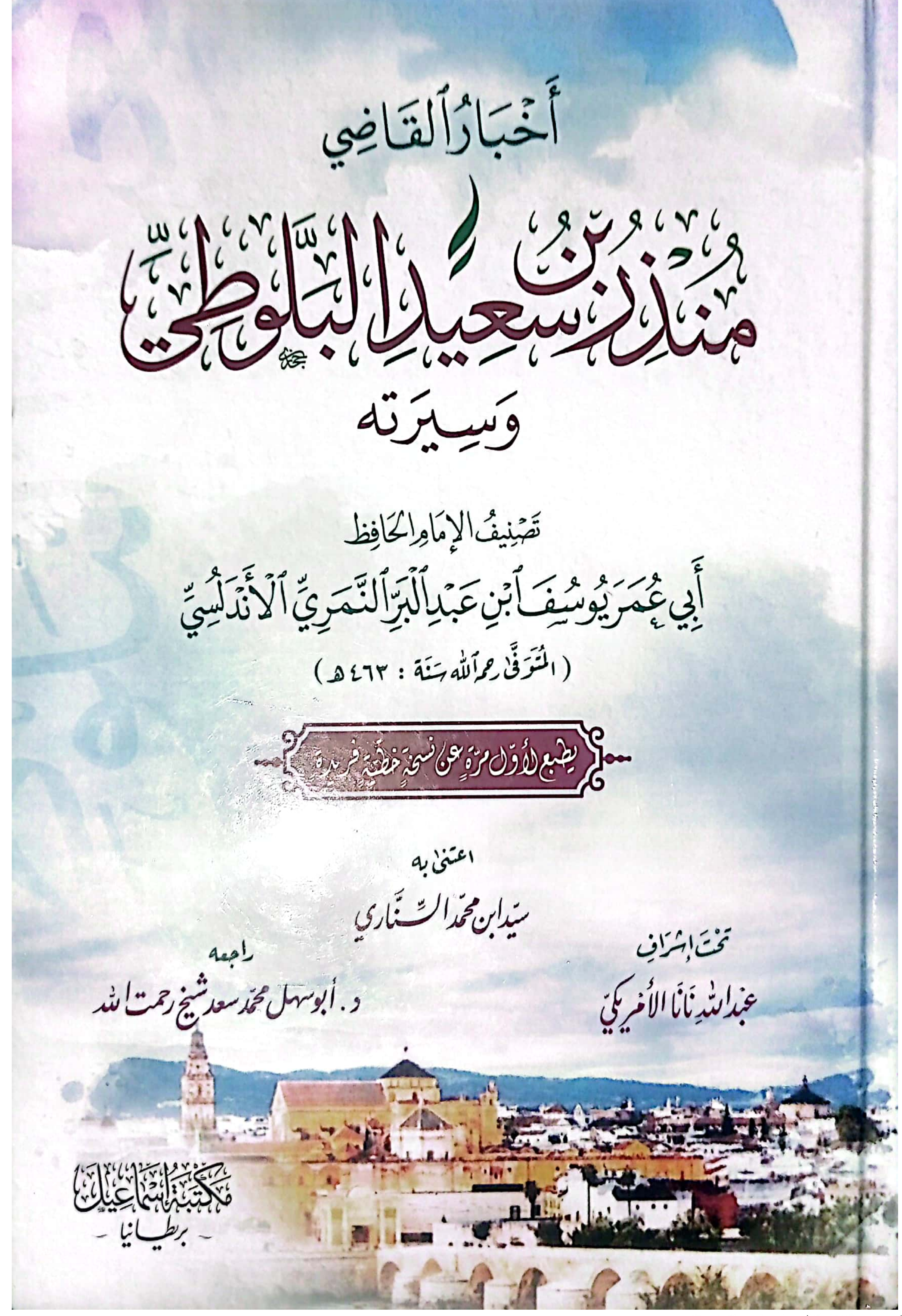
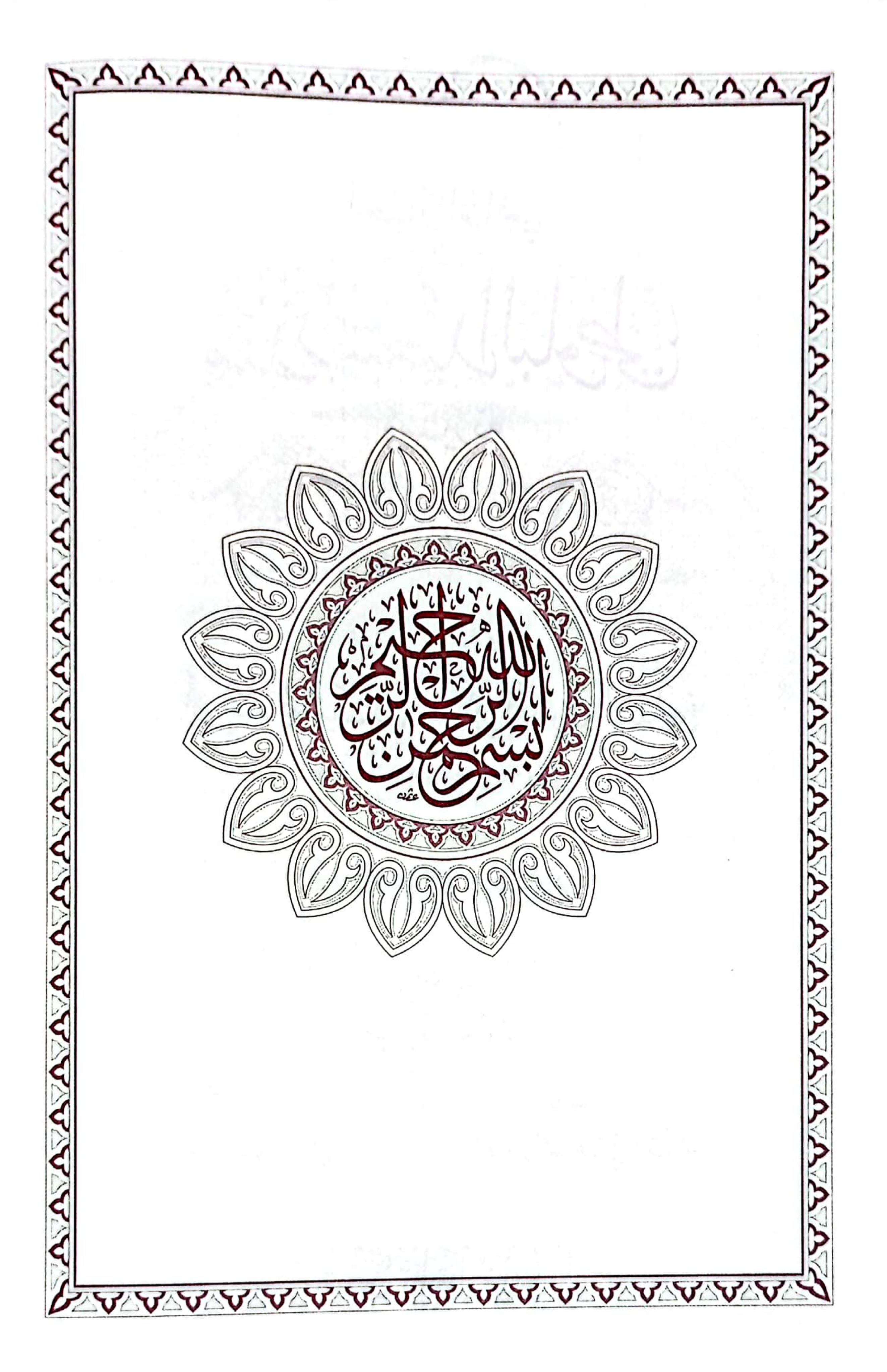


المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَخْبَارُ ٱلقَاضِي

مُنذِرُ بْنُ سَعِيدٍ البَلُّوطِي

وَسِيرَتُه


بسم الله الرحمن الرحيم



مكتبة إسماعيل للنشر والتوزيع
- بريطانيا -

الموزعون المعتمدون

الجمهورية العربية اللبنانية
مكتبة إسماعيل - بيروت
+447557668690
مؤسسة الضحى -بيروت
+9613943461

المملكة الأردنية الهاشمية
مكتبة الغانم - عمان
+962799170301

الجمهورية العربية المصرية
دار الخير ناشرون
+201068551788
+20225122742

الإمارات العربية المتحدة
مكتبة السلام - الشارقة
+971557000719

المملكة المغربية
دار الأمان - الرباط
+212661202856
منشورات البشير بلعطيه - فاس
+212621920071

الهند
مكتبة باب السلام - سهارنفور
+919837303252

جمهورية جنوب إفريقيا
مكتبة الإمام البخاري - جوهانسبرغ
+27848786078
مكتبة الإمام الطحاوي - دربن
+27827863931

المملكة العربية السعودية
مكتبة الراوي - المدينة المنورة
مكتبة الزاد العلمي - المدينة المنورة
مكتبة النصيحة
مكتبة الأسدية - مكة المكرمة
مكتبة الإمداد العلمي مكة المكرمة

الجمهورية العربية السورية
دار المعراج - دمشق
+963933396811

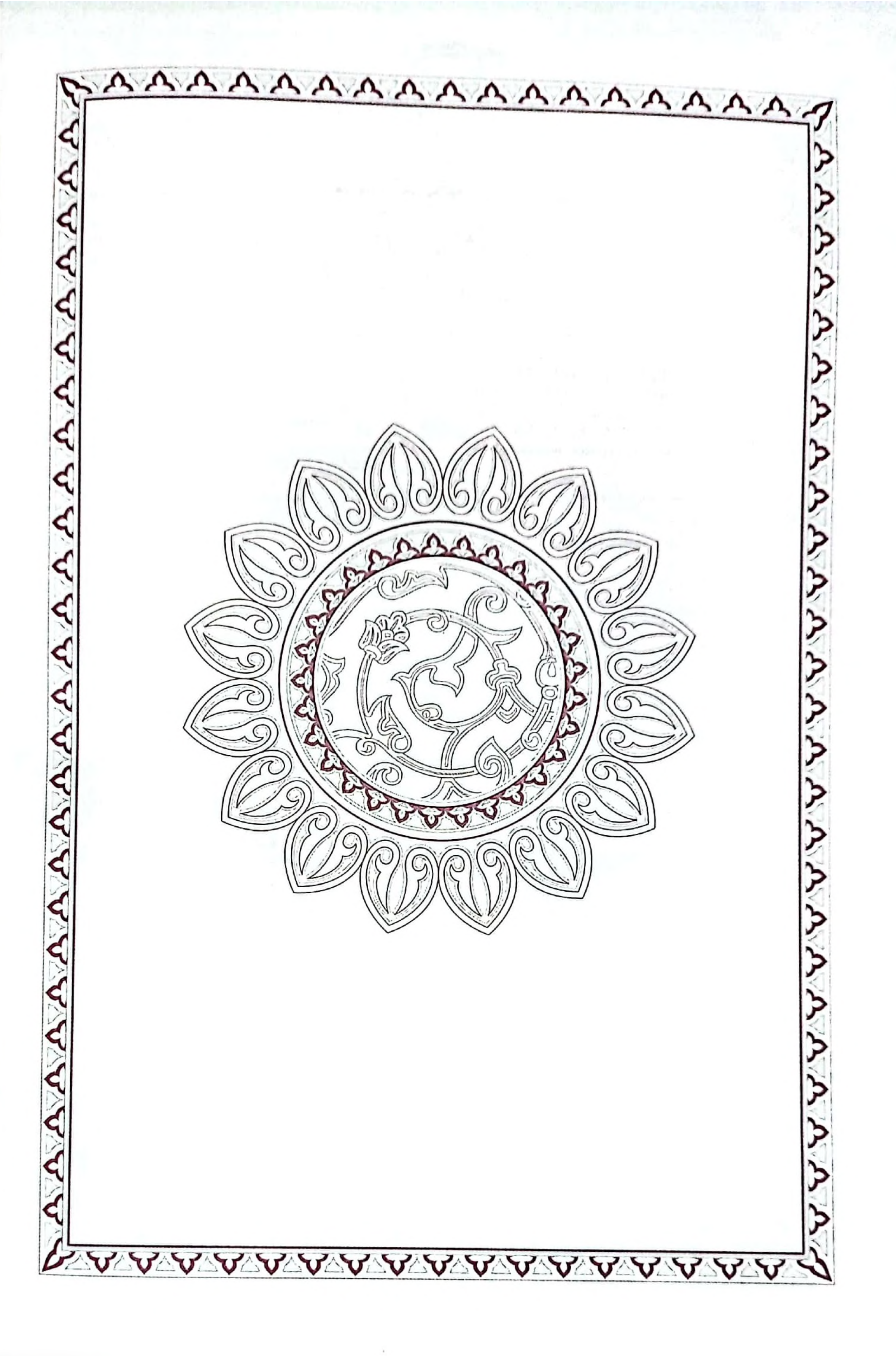
دولة قطر
مكتبة نقطة لبيع الكتب
+97430668115

دولة الكويت
مكتبة الإمام الذهبي
+96522657806
مكتبة اقرأ كويت
+96599836372

الجمهورية التركية
مكتبة الإرشاد - إستانبول
+905324520104
دار الكتب العربية - إستانبول
+905345271768

جمهورية باكستان
مكتبة خير جليس
+923219968749

جميع منشوراتنا متاحة على
موقع نون للدراسات
www.noonpublishers.com
موقع مكتبة إسماعيل للنشر والتوزيع
www.Ismaeelbooks.com



بين يدي الكتاب

الحمد لله وحده لا شريك له ، حمداً يُقرِّبنا إلى رضوانه ، وصلاة الله وسلامه على نبيه المصطفى صلاةٌ تزلّفنا إلى جنّته . وبعد. . .

فقد عني المسلمون عناية بالغة بتراجم الرجال ، على اختلاف أعصارهم وأمصارهم ، وتنوع طبقاتهم واختصاصاتهم ، فأفردوا لذلك مصنفات كثيرة ، ووضعوا مؤلفات زاخرة ، حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا : إن المكتبة الإسلامية أغنى مكتبات الأمم بكتب التراجم .

فعلى مرِّ عصور الإسلام الزاهرة ، نبغ عُلماء أجلّاء ، قَبَسُوا من مشكاة النبوة ، فسطعت أنوارهم ، وسارت بمحاسنهم الركبان ، واشتهرت فضائلهم في سائر البلدان ، وشُدَّت إليهم الرحال ، وكانوا منائر للعلم ، وأعلاماً للحق والهداية ، حتى إذا ما طُويت صفحةِ حياتهم المثمرة ، جاء من بعدهم قوم أخلصوا لهم الوفاء ، فذكروا محاسنهم ودوَّنوا مآثرهم ، اعتقاداً منهم بأنّ التاريخ الحقيقي لكُل أمة ، إنّما هو تاريخ حياتهم النابغين فيها .

والكتاب الذي بين أيدينا ، يضم بين دفّتيه سيرةُ أَحَدٍ أولئك الأعلام الكبار ، هو : الشيخ الفقيه الخطيب القاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى .

والإمام ابن عبد البر ، الذي كان من أوسع علماء عصره علما ، و أغزرهم ثقافة ، عَرَفَ عظيمَ فضلِ شيخِ شيوخِه : البلوطي ، وعلمه ، وأدرك سُمُوَّ

منزلته وعلو شأنه ، فخصَّه بهذا الكتاب ، عارِضاً سيرة حياته مستقصياً فيها أخباره ومآثره ومناقبه ، وقد جمع مادة كتابه من مخزون كتب التراجم والسير ، ومن مروياته ومسموعاته .

وبعد ، فهذا كتاب جليل ، داني القُطوف ، عذْبُ المَورد ، نُخرجه للقراء ، رجاء أن يؤدّي غرضه من النفع والإفادة .

وفي الختام نسجل الشكرالوافر للمحقق عبد الله نانا الأمريكي الذي نفض التراب عن هذا العلق النفيس ، وأخرجه من عالم الخفاء إلى عالم الظهور في ثوب لامع وحلة قشيبة .

كما أتوجه بالشكر إلى الفريق العلمي في الدار الذي اعتنى بهذا الكتاب من تدقيق لغوي ، وتنسيق ، وأخصُّ بالشكر والذكر الأستاذ المحقِّق فضيلة الدكتور أبا سهل محمد سعد شيخ رحمت الله الذي لم يضنَّ بجهدٍ في مراجعة هذا الكتاب وتفضل بالإشراف على الفريق العلمي في الدار .

نسأل الله أن ينفع الأمة بهذا السفر المبارك ، وأن يوفقنا لخدمة شريعته ورفع رايته ونصرة دينه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مكتبة إسماعيل

٢٧ رمضان ١٤٤٤هـ

مقدّمة التّحقيق

إنّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعِينه ، ونستغفِره ، ونستهدِيه ، ونعوذ باللهِ تعالىٰ مِن شرورِ أنفسِنا ، ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا ، من يهدِه الله فلا مضِلّ له ، ومن يضلِل فلا هادِي له ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شرِيك له ، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلّم تسلِيمًا كثِيرًا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ـ ٧١] .

أمّا بعد : فإنّ خير الحدِيث كِتاب اللهِ تعالىٰ ، وخير الهدي هدي محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثةٍ بِدعةٌ ، وكلّ بِدعةٍ ضلالةٌ .

وبعد : فها نحن ذا نتقدّم بين يدي طلبةِ العِلمِ وأهلِه بإخراجِ كِتابِ : « **أخبار القاضِي منذِر بن سعِيد البلّوطِيّ وسِيرته** » ، للإمام العلّامة الحافِظ المحدِّث الفقيه أبي عمر ابن عبد البرّ رحمهُ اللهُ ، لِأوّلِ مرّةٍ ـ ولله الحمد ـ عن نسخةٍ خطِيّةٍ فرِيدةٍ ، في ثوبٍ لامِعٍ ، وحلّةٍ قشِيبةٍ ، تسرّ لها أعين النّاظِرين إن شاء الله تعالىٰ .

فالكِتاب يعد حلقةً فرِيدةً مِن حلقات تلك الكتبِ التي أفرِدت في تراجِمِ العلماء ومناقِبِهم وسِيرتِهم .

ولقد كان هذا الكِتاب يعدّ مِن قِسمِ الكتب المفقودة مِن تراثِنا ، كما أشار إلى ذلك الأستاذ عبد الرّحمن السِّجلماسِيّ[1] بقوله : « وهو كِتابٌ مفقودٌ للأسف ، ولو عثِر عليه لسدّ ثغرةً كبِيرةً في معرِفةِ جوانِب عِدّةٍ مِن حياةِ هذا الإمام ؛ لِكونِ ابنِ عبدِ البرِّ يعتبر مِن تلامِيذِ تلامِيذِ منذِرٍ ، ومِن أكابِرِ أئِمّةِ الإسلام ، وفحولِهِ الأعلام ، ويظهر أنّه أراد مِن عرضِ سِيرةِ هذا الإمام العطِرة : إعطاء صورةٍ مشرِقةٍ لِعلماءِ عصرِهِ ومن بعدهم تكون محلًّا للاقتِداء ، ومثلًا أعلى لِما يجِب أن يكون عليه صاحِب الفِكر البنّاء »[2] .

وقد صدق الأستاذ السِّجلماسِيّ فيما ظنّه وتوقّعه مِن مادة هذا الكتاب ، ففيه من أخبار القاضي فيما يتعلّق بمولِده ، ونشأتِه ، ومشايخِه ، وتلقِّيه للمعارِف ، ونبوغِه ، ورِحلتِه ، وأشعارِه ، وخطبه ، ورسائله ، ومسامراته ، وشجاعتِه ، وجرأتِه في الحقِّ ، ومجابهةِ ذوِي السلطان ، مع ورعِه وزهدِه وتواضعِه ، وألوانِ تعبّدِه ، وسياقِ تصانيفه ، وجوامِع أخبارِه ، وثناءِ العلماء عليه = ما لا يوجد في غيره مطلقًا حتى هذا الوقت الذي ننشر فيه الكتاب للجماهير !

ولولا خشية التكرار ومزاحمة ابن عبد البر في كتابه بتعدادِ ما ورد فيه ؛ لسردنا منه هنا ـ استباقًا ـ ألوانًا مِن لطائف ما أورد ، ونوادِر ما أخبر ، وجديدِ ما أسند ، وغريبِ ما أشار في غضونِ ترجمة هذا القاضي الفقيه الموسوعي رحمهُ اللهُ .

---

(١) في كتابه : « الإمام منذر بن سعيد البلوطي وتحقيق رسالتين له » [ص/ ٢٣ـ ٢٤] .
(٢) وينظر أيضًا : « ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ » لليث سعود جاسم [ص/ ٣١٣ـ ٣١٥] .

ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا في إخراج هذه النادرة على وجهٍ لائقٍ حسن ، ومشرعٍ للناهلين سائغٍ مستحسن .

ولو شِئنا أن ننفخ في صورِ الكتابِ دراسةً وتحشيةً وتذييلًا بما يجعل مِن الحبّةِ قبّةً ؛ ومن السهلِ جبلًا ؛ لم نعدم الطريق لذلك ، ولن تسدّ في وجوهِنا المسالِك ، ولكننا آثرنا أن يكون عملنا وجِيزًا مقتضبًا يتناسب مع أصلِ مادةِ الكتاب ؛ لتسهل مطالعته ، ويحلو سماعه ومذاكرته .

ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عملنا في هذا الكِتاب خالِصًا لِوجهِه الكريم ، نافِعًا مفِيدًا للطّلبة والباحِثِين ، وأن يجزِي خيرًا كلّ من ساهم في إخراجِه على هذا الوجهِ اللّائِق بِمِثلِه مِن نفائِسِ تراثِ المكتبة الإسلامِيّة .

ونرجو من الله أن نكون قد وفِّقنا في إخراج هذه النادرة على وجهٍ لائقٍ حسن ، ومشرعٍ للناهلين سائغٍ مستحسن .

ولو شِئنا أن ننفخ في صورِ الكتابِ دراسةً وتحشيةً وتذييلًا بما يجعل مِن الحبّةِ قبّةً ؛ ومن السهلِ جبلًا ؛ لم نعدم الطريق لذلك ، ولن تسدّ في وجوهِنا المسالِك ، ولكننا آثرنا أن يكون عملنا وجِيزًا مقتضبًا يتناسب مع أصلِ مادةِ الكتاب ؛ لتسهل مطالعته ، ويحلو سماعه ومذاكرته .

ونسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل عملنا في هذا الكِتاب خالِصًا لِوجهِه الكريم ، نافِعًا مفِيدًا للطّلبة والباحِثِين ، وأن يجزِي خيرًا كلّ من ساهم في إخراجِه على هذا الوجهِ اللّائِق بِمِثلِه مِن نفائِسِ تراثِ المكتبة الإسلامِيّة .

كلمة عن الإمام ابن عبد البر

ليس ثمّ جديدٌ أو زيادةٌ تضاف على ما قدّم في ترجمةِ الإمام ابن عبدِ البرّ قديمًا وحديثًا ، لكن لا بدّ من كلمةٍ موجزةٍ حوله رحمهُ اللهُ تعالى فأقول :

هو الإمام العلّامة ، حافظ المغرب ، شيخ الإسلام ، أبو عمر يوسف بن عبدِ اللهِ بن محمّدِ بن عبدِ البرّ بن عاصِم النّمريّ[1] الحافِظ الأندلسيّ القرطبيّ المالِكيّ ، إمام عصرِهِ ، وواحِد دهرِهِ ، صاحِب التّصانِيفِ الفائِقة .

مولده :

وُلِد سنة ثمانٍ وستِّين وثلاثِ مِئةٍ (٣٦٨هـ) ، في ربيعِ الآخِرِ بِقرطبة - وهي مدِينةٌ كبِيرة في وسطِ الأندلس - ، وبها نشأ ، ثم تنقّل بعد ذلك إلى مدنٍ أخرى مِن مدنِ الأندلس .

نشأته وطلبه للعلم :

توفِّي والِده وهو صغِيرٌ ، وكان والِده مِن علماءِ عصرِهِ ، وقد لزِم بعد وفاةِ والِدِهِ أبا الولِيد ابن الفرضِيِّ ، وعنه أخذ كثِيرًا مِن عِلمِ الحدِيثِ ، وتفقّه على كثِيرٍ مِن علماءِ قرطبة ، فابتدأ بِطلبِ العِلم بعد سنةِ تِسعِين وثلاثِ مِئةٍ ، وقد حصّل العِلم الكثِير ، والأسانِيد العالِية مِن علماءِ الأندلس والوارِدِين عليها ،

(١) قال ابن خلكان : « النّمرِيّ : بِفتحِ النّون والمِيم ، بعدها راء ، هذه النِّسْبة إلى : « النّمِر بن قاسِط » ، بِفتحِ النّون وكسرِ المِيم ، وإنّما تفتح المِيم في النِّسْبة خاصّةً ، وهي قبِيلةٌ كبِيرة مشهورة » . ينظر : « وفيات الأعيان » لابن خلكان [٧/ ٧١] .

كما تفقه علىٰ مذهبِ الإمام مالِكٍ ، واشتهر بأنّه مالِكِيّ المذهبِ ، وصنّف فيه كِتابه المشهور : « الكافِي في فِقهِ أهلِ المدِينة » .

رحلاته :

ذكر العلماء أنّ الحافِظ ابن عبد البرِّ لم يستطِع السّفر إلىٰ الشّرق كعادةِ من سبقه لِنيلِ شرفِ الرّحلةِ في طلبِ العِلمِ ، فلم يخرج مِن بِلادِ الغرب ، لكِنّه تجوّل في الأندلس شرقِها وغربِها ، وسكن في بعضِ مدنِها ، وكان السّبب الذي اضطرّه إلىٰ ذلك هو الفِتنة التي اشتعلت في بِلادِ الأندلس في زمنِهِ ، والتي عرِفت بـ : « الفِتنة البربرِيّة » ، فكان تنقّله بين مدنِ الأندلس اضطِرارِيًّا ؛ فِرارًا منها أو سعيًا لإخمادِها .

ثناء أهل العلم عليه :

حظِي الإمام ابن عبدِ البرِّ بالثّناء الحسنِ مِن علماءِ زمانِهِ : مِن أقرانِهِ وشيوخِهِ وتلامِيذِهِ ، وكِبارِ المترجِمين له والنّاقِلين عنه ، بما يدلّ علىٰ علوِّ شأنِهِ ، وسموِّ رتبتِهِ ، ومِن أقولِ العلماء فيه رحمهُ اللهُ :

قول الحميدِيِّ رحمهُ اللهُ[1] : « أبو عمر فقِيهٌ حافِظٌ مكثِرٌ ، عالِمٌ بالقِراءات ، وبالخِلاف في الفِقهِ ، وبِعلومِ الحدِيث ، والرِّجال » .

وقال صاحبه الإمام أبو محمّدِ ابن حزمٍ رحمهُ اللهُ[2] : « ومِمّن أدركنا مِن أهلِ العِلم علىٰ الصِّفة التي من بلغها استحقّ الاعتِداد به في الاختِلاف : . ويوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرِّ النّمرِيّ » .

---

(١) في : « جذوة المقتبس » [ص/ ٣٦٧] .

(٢) في : « الإحكام في أصول الأحكام » [٥/ ١٠٢] .

وقال عنه الإمام أبو الوليدِ الباجيّ رحمهُ الله[1] : « لم يكن بالأندلس مِثل أبي عمر ابن عبد البرّ في الحديث. . . أبو عمر أحفظ أهلِ المغرب » .

وقال عنه ابن خلّكان رحمهُ الله[2] : « وكان مع تقدّمِهِ في عِلم الأثرِ ، وبصرِهِ بالفِقهِ ومعاني الحديث ؛ له بسطةٌ كبيرةٌ في عِلم النّسب » .

وقال أبو عبد الله الذّهبيّ رحمهُ الله[3] : « كان إمامًا دينًا ، ثِقةً ، متقِنًا ، علّامةً متبحّرًا ، صاحِب سنّةٍ واتّباعٍ ، وكان أوّلًا أثريًا ظاهِريًا فيما قِيل ، ثم تحوّل مالِكيًا مع ميلٍ بيّنٍ إلىٰ فِقه الشّافِعيّ في مسائِل ، ولا ينكر له ذلك ، فإنّه مِمّن بلغ رتبة الأئِمّة المجتهِدين ، ومن نظر في مصنّفاتِهِ ؛ بان له منزِلته : مِن سعةِ العِلمِ ، وقوّةِ الفهمِ ، وسيلانِ الذِّهنِ » .

من أشهر شيوخه :

- خلف بن القاسِمِ بن سهلٍ ، المعروف بـ« ابن الدّبّاغِ » ، المتوفّىٰ سنة : (٣٩٣هـ) .

- أبو عمر أحمد بن عبدِ اللهِ بن محمّدٍ الباجِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٩٦هـ) .

- أبو عمر أحمد بن عبدِ الملِكِ بن هاشِمٍ الإشبِيلِيّ ، المعروف بـ« ابن المكوِيّ » ، المتوفّىٰ سنة : (٤٠١هـ) .

- أبو المطرِّفِ عبد الرّحمن بن محمّدِ بن عِيسىٰ بن فطيسٍ ، المتوفّىٰ سنة : (٤٠٢هـ) .

---

(١) فيما حكاه عنه : ابن بشْكوال في « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس » [ص/٦٤١] .
(٢) في « وفيات الأعيان » [٧/٦٧] .
(٣) في « سير أعلام النبلاء » [١٨/١٥٧] .

ـ أبو عمر أحمد بن محمّدِ بن عبدِ اللهِ المقرئ الطّلمنكيّ ، المتوفّى سنة : (٤٢٩هـ) .

من أشهر تلامذته :

ـ أبو جعفرٍ أحمد بن محمّدِ بن رِزقِ الأمويّ القرطبِيّ ، المتوفّى سنة : (٤٧٧هـ) .

ـ أبو الحسن طاهِر بن مفوّزِ بن أحمد الشّاطِبِيّ المعافِرِيّ ، المتوفّى سنة : (٤٨٤هـ) .

ـ أبو عبدِ اللهِ محمّد بن فتوحِ ابن أبي نصرِ الأزدِيّ الحميدِيّ ، المتوفّى سنة : (٤٨٨هـ) .

ـ أبو عليٍّ الحسين بن محمّد بن أحمد الغسّانِيّ الجيّانِيّ ، المتوفّى سنة : (٤٩٨هـ) .

ـ أبو محمّدٍ عبد الرّحمن بن محمّد بن عتّابِ بن محسِنٍ القرطبِيّ ، المتوفّى سنة : (٥٢٠هـ) .

من أشهر مصنفاته :

١ـ « التّمهيد لِما في الموطّإِ مِن المعانِي والأسانِيد » .

٢ـ « الاستِذكار في شرحِ مذاهِبِ علماءِ الأمصار مِمّا رسمه مالِكٌ في موطّئِهِ مِن الآثار » .

٣ـ « الاستِغناء في معرِفةِ المشهورِين مِن حملةِ العِلم بالكنى » .

٤ـ « الاستِيعاب في معرِفةِ الأصحاب » .

٥ـ « جامِع بيانِ العِلم وفضلِه » .

وفاته

توفي رحمهُ اللهُ ليلة الجمعة سنة ثلاثٍ وستّين وأربعِ مِئةٍ (٤٦٣ هـ) ، وله مِن العمر (٩٥) سنةً .

ومن أراد المزيد حوله رحمهُ اللهُ فلينظر :

- « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم [ص/٣٠٢] .

- « جذوة المقتبس في ذِكر ولاة الأندلس » لأبي نصر الحميدي [ص/٣٦٧-٣٦٩] .

- « ترتيب المدارك وتقريب المسالك » للقاضي عياض [٨/١٢٧-١٣٠] .

- « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس » لابن بشكوال [ص/٦٤٠-٦٤٢] .

- « بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس » للضبي [ص/٤٨٩-٤٩١] .

- « وفيات الأعيان » لابن خلكان [٧/٦٦-٧٢] .

- « سير أعلام النبلاء » للذهبي [١٨/١٥٣-١٥٩] ، وغيرها كثير .

ومِن التآليف المعاصِرة التي أفرِدت خاصّةً عن الإمام ابن عبدِ البرِّ :

- « ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ » لليث سعود جاسم[١] .

- « عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان= عرضًا ودراسة » لسليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن[٢] .

- « منهج ابن عبد البر في الجرح والتعديل من خلال كتابه (التمهيد) » لمحمد عبد رب النبي[٣] .

---

(١) طبعة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ، مصر .

(٢) طبعة : دار العاصمة للنشر والتوزيع .

(٣) رسالة دكتوراه ، جامعة أمِّ القرىٰ ، كلّية الدعوة .

ـ « ابن عبد البر النّمِريّ محدّثًا » للصادق بن الصادق الأنصاري[1] .

ـ « ابن عبد البر وجهوده في الحديث والفقه » لإسماعيل الندوي[2] .

ـ « الإمام أبو عمر بن عبد البر : حياته ، آثاره ، ومنهجه في فقه السّنّة » لمحمد بن يعيش[3] . وغيرها كثير .

❋ ❋ ❋

---

(١) رسالة ماجستير ، جامعة الملك أمّ القرئ ، كلّية الشريعة ، فرع الكتاب والسّنّة ، سنة : (١٣٩٨ـ١٩٧٧) .

(٢) رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلّية دار العلوم ، قسم الشريعة ، سنة : (١٣٨٤ـ ١٩٦٤) .

(٣) طبعة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية : (١٤١٠ـ ١٩٩٠) .

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا ريب في ثبوت هذا الكتاب إلىٰ ابن عبدِ البرِّ ، وذلك من وجهينِ :

أ ـ الأول : ما وقع صريحًا في النّسخة الخطّية الوحيدة لهذاالكتاب ، فقد ثبت ذلك مرارًا في العنوان والمقدمة والخاتمة .

ب ـ والثاني : ما جزم به جماعةٌ مِن العلماء والمؤرِّخين مِن صحة نِسبتِه لمؤلّفه ابن عبدِ البرِّ ، إمّا بالنقل المباشِر مِن هذا الكتاب ، وإما بِنسبته إليه مع تسمِيته .

ومِن هؤلاء الذين وقفنا عليهم مِمّن ذكر هذا الكِتاب ونسبه لابن عبدِ البرِّ :

١ـ الحافظ ابن الأبّارِ في كِتابِهِ « التكملة لكتاب الصلة » [٤/ ٢٣٤] . فقد جاء في ترجمةِ يعِيش بن زغلل بن سعِيدِ ابن أخِي القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ ما نصّه : « مِن أهلِ قرطبة ، يكنّىٰ أبا سليمان ، وهو ابن أخِي القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ ، روىٰ عن عمِّهِ ، ووقع ذِكره في « فضائِلِ منذِرٍ » مِن جمعِ أبي عمر ابن عبد البرِّ » .

قلت : وقد وقع ذِكر يعِيش في الكِتاب ـ الذي بين يديك ـ في سِياقِ حِكايةٍ حكاها ابن عبد البرّ عن يعِيش عن عمِّهِ القاضِي منذِرِ بن سعِيد رحمهُ اللهُ .

٢ـ وكذا جاء عند ابن الأبّارِ[1] في ترجمةِ أبي القاسِمِ إسماعِيل بن أحمد بن

---

(١) في « التكملة » [١/ ١٥٢] .

جبرون ما نصّه : « سمع مِن أبي عمر بن عبدِ البرّ كثيرًا ، وكتب عنه تأليفه في « الصّحابة » سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربعِ مِئةٍ ، وتأليفه في « أخبارِ القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ » ، وسمِعه منه » .

٣ـ نصّ الحافظ ابن كثيرٍ[1] في ترجمةِ القاضِي منذِر بن سعِيدٍ ، علىٰ نِسبة هذا الكِتابِ إلىٰ ابن عبدِ البرّ ؛ حيث قال رحمهُ اللهُ : « وقد صنّف الحافِظ أبو عمر بن عبدِ البرّ مصنّفًا في مناقِبِهِ رحمهُ اللهُ » .

٤ـ وكذلك ذكره الحافظ السّخاوِيّ[2] ونسبه إلىٰ ابنِ عبدِ البرّ ، وذلك فِيما أفرده مِن مبحثٍ لطِيفٍ حول الكتب التي أفرِدت في سِيرِ الأئِمّةِ ومناقِبِهم ، حيث قال رحمهُ اللهُ : « ومنذِر بن سعِيدٍ القاضِي ، لأبي عمر بن عبدِ البرّ » .

فهؤلاء الذين صرّحوا بنسبة الكتاب لمؤلِّفه بعبارةٍ واضحة ، وقد يضاف إليهم بعض من نقل عن الكتابِ دون تسمِيتِه لكن بالعزو لمؤلِّفِه ، ومِن هؤلاء :

١ـ الحافظ ابن الأبّار أيضًا في كِتابِهِ « التكملة لكتاب الصلة » [١/ ٢٣٩] ، فقد أورد ـ في ترجمتِهِ لأبي القاسِم خلف بن فتحِ بن عبدِ اللهِ الجبيرِيِّ الطّرطوشِيِّ ، وهو والِد أبي عبيد القاسِم بن خلف ـ بِسندِهِ إلىٰ ابن عبدِ البرّ : حِكاية نزولِ القاضِي منذرِ بنِ سعِيد علىٰ أبي القاسِم خلف بن فتحِ بن عبدِ اللهِ الجبيرِيّ ، وما جرىٰ فيها مِن قِصّةِ أرجوزةِ ابنِ عبدِ ربِّهِ الأندلسِيِّ[3] التي ذكر فيها الخلفاء ، وجعل معاوِية رضي الله عنه رابِعهم ، ولم يذكر فِيهِم علِيًّا رضي الله عنه .

---

(١) في : « البداية والنهاية » [١٥/ ٣٨٠] .

(٢) في : « الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » [٣/ ١٢٧٥] .

(٣) صاحِب كِتاب : « العقد الفريد » .

قال ابن الأبَّارِ رحمهُ اللهُ : « أنبأني أبو بكرٍ ابن أبي جمرة ، عن أبيهِ ، عن أبي مروان عبيد اللهِ بن محمّدٍ بن أبي عمر النّمريّ إجازةً قال : أخبرني أبو مروان عبيد اللهِ بن محمّدٍ بن قاسمٍ الكَرْنيّ - وكان مِن ثقاتِ النّاس وعقلائِهم - ، عن أبي عبيدٍ القاسم بن خلفٍ الجبيريّ الطّرطوشيّ قال : نزل القاضي منذر بن سعيدٍ على أبي بطرطوشة[1] . . . » .

قلت : وهذه الحِكاية بِرمّتِها قد ساقها ابن عبدِ البرِّ في الكِتاب الذي بين يديك .

٢- الإمام الذّهبيّ رحمهُ اللهُ[2] ؛ حيث نقل حِكايةً في ترجمةِ القاضِي منذِر بن سعِيدٍ ، وعزاها إلىٰ ابن عبدِ البرِّ ، فقال : « وقال ابن عبدِ البرِّ : حدِّثت أنّ رجلًا وجد القاضِي منذِر بن سعِيدٍ في بعضِ الأسحارِ علىٰ دكّانِ المسجِدِ . . . »[3] .

قلت : والحِكاية بِرمّتِها قد ساقها ابن عبدِ البرِّ في الكِتاب الذي بين يديك .

أمّا الذين ذكروا طرفًا مِن أخبار القاضي البلّوطِيِّ التي اتّفق ورودها في هذا الكتاب ؛ فلم نتعرّض لذِكرِهم هنا ؛ لاحتمال أن يكونوا نقلوها مِن غير طريق ابن عبد البرِّ .

---

(١) بضم الطّاء الأولىٰ -وتفتح أيضًا- ، وسكونِ الرّاء ، ثم طاءٍ أُخْرىٰ مضْمومة ، وواوٍ ساكِنة ، وشِينٍ معْجمةٍ : هي مدِينةٌ شهيرة بالأنْدلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٤/ ٣٠] . و« اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير [٢/ ٢٨٠] . و« تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [١٧/ ٢٤٣/ مادة : ط ر ط ش] .

(٢) في « سير أعلام النبلاء » [١٦/ ١٧٥] .

(٣) الأقرب أن الحافظ الذهبي لم يقِف علىٰ الكتاب ، وإنما نقل منه بواسطة بعضِهم ، ولعله لم يسْمع به أصْلًا ، كما يظْهر مِن عدم التعرّض لذِكْرِه في تصانيفه المتعدِّدة في ترجمة القاضي البلّوطي وترجمةِ الإمام ابن عبد البرّ .

فائدة حول رواة الكتاب عن مؤلفه :

ممّن وقفنا عليهم مِن رواةِ هذا الكتابِ عن مؤلّفِه الإمام ابن عبد البرّ : رجلينِ فقط ، وهما :

أ ـ أبو القاسِم إسماعِيل بن أحمد بن جبرون[١] .

قال الحافظ ابن الأبّارِ[٢] في ترجمته كما سبق : « سمِع مِن أبي عمر بن عبدِ البرّ كثيرًا ، وكتب عنه تأليفه في « الصّحابة » سنة ثلاثٍ وثلاثِين وأربعِ مِئةٍ ، وتأليفه في « أخبارِ القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ » ، وسمِعه منه » .

ب ـ أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن موسىٰ بن عبد الملك بن وليد بن محمّد ابن وليد بن مروان بن عبد الملك بن أبي جمرة . المتوفّىٰ سنة : (٥٣٣هـ)[٣] .

أشار الحافظ ابن الأبّار لروايتِه فقال[٤] : « أنبأني أبو بكرِ ابن أبي جمرة ، عن أبِيهِ ، عن أبي عمر النّمرِيّ إجازةً قال : أخبرني أبو مروان عبيد اللهِ بن محمّدِ بنِ قاسِمِ الكزنِيّ ـ وكان مِن ثِقاتِ النّاس وعقلائِهم ـ ، عن أبي عبيدِ القاسِمِ بن خلفِ الجبيرِيّ الطّرطوشِيّ قال : نزل القاضِي منذِر بن سعِيدٍ علىٰ أبي بِطرطوشة . . . » . وساق خبرًا موجود بعينِه في كتابنا هذا .

وابن أبي جمرة هذا : استجاز له أبوه عبد الملِك جماعةً مِن الجِلّة مِنهم : أبو عمر ابن عبد البرّ . كما ذكره ابن الأبّار في ترجمته .

وهذانِ الرجلانِ هما اللّذانِ ظفِرنا بروايتِهما هذا الكتاب عن مؤلِّفِه .

---

(١) لم نظفر له بتاريخ وفاة . ولعله توفّىٰ في الرّبع الأخير مِن القرْن الخامس الهِجْري .

(٢) في « التكملة » [١/ ١٥٢] .

(٣) له ترجمة في : « التكملة » لابن الأبّار [١/ ٢٣٩] . و« الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للمراكشي [١/ ٤٤٥] .

(٤) في « التكملة » [١/ ٢٣٩] .

مصادر المؤلّف في الكتاب

تنقسِم تِلك المصادِر التي استقىٰ ابن عبدِ البرِّ منها مادّته إلىٰ قِسمينِ :

أ ـ قسمٌ قد صرّح فيه بالنّقل عن غيرِه مِمّن سبقه مِن أهلِ العِلم .

ب ـ وقسمٌ آخر جاء عن طرِيقِ مروِيّاتِهِ ومسموعاتِهِ .

فمِن القِسمِ الأوّلِ :

١ـ « **تارِيخ الرّازِيِّ** » لأبي بكرٍ أحمد بن محمّد بن موسىٰ بن بشِيرٍ الرّازِيِّ الكِنانِيِّ القرطبِيِّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٤٤ هـ) .

٢ـ « **تارِيخ أخبارِ فقهاءِ الأندلس** » لأبي عبد اللهِ محمّد بن الحارِث بن أسدٍ الخشنِيِّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٦١هـ) .

٣ـ « **طبقات النّحوِيِّين واللّغوِيِّين** » لأبي بكرٍ الزّبيدِيِّ محمّد بن الحسن بن عبيدِ اللهِ الأندلسِيِّ الإِشبِيلِيِّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٧٩هـ) .

٤ـ « **الأنيق** » لمحمّد بن مسعودٍ النّحوِيِّ[١] .

والقِسم الثّاني : ما ثبت له مِن مروِيّاتِهِ في سِيرةِ القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ البلّوطِيِّ[٢] ، فقد أسند عن بعضِ مشايِخِهِ ، وكذا عن بعضِ أقارِبِ القاضِي

---

(١) لعله : أبو عبد الله محمد بن مسْعود القرْطبي الخطِيب النحْوِي الشاعر الأديب . المتوفىٰ سنة : ٣٧٩هـ . ينظر ترجمته في : « تراجم علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/٩٣] .

(٢) وكذلك ما وجده بخط القاضي أوْ حكِي له عنه .

منذِرِ بن سعِيدٍ ، وخص منهم بالتّسمِية ولدي القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ ، وهما[1] :

١ـ أبو العاصِي الحكم بن منذِر بن سعِيدٍ ، المتوفّى نحوِ سنة : (٤٢٠ هـ) .

٢ـ أبو عثمان سعِيد بن منذِر ، المتوفّى مقتولًا على يدِ البرابِرة سنة : (٤٠٣ هـ) .

وكذلك نقل عن أبي سليمان يعِيش بن زغلل بن سعِيدِ ابن أخِي القاضِي منذِرِ بن سعِيدٍ .

---

(١) وكذا نقل عن بنتِهِ أيضًا ، لكنه لم يسمِّها .

وصف النسخة الخطية الفريدة للكتاب

لأمرٍ لا يعلمه إلا الله فقط ظلّ هذا الكتاب سنين طويلةً حبِيس الأدراج ، مطوِيّ الذِّكر ، خامِل الظهور ، لا يكاد نرىٰ له رسمًا في تصانيف الأوائل إلا شذرًا ، ولا نعلم أحدًا نقل منه نقلًا مباشِرًا بما يدل علىٰ وقوفِه عليه : سوىٰ الحافظ ابن الأبّار في كِتابِهِ « التكملة لكتاب الصلة » .

ومع كثرة المصادر التي ترجمت للقاضي البلّوطِيِّ والإمامِ ابن عبد البرِّ ؛ إلا أننا لا نجِد لهذا الكتاب ذِكرًا في ترجمة الرجلينِ جميعًا مع توفّر الدواعِي لذلك ؛ اللهم إلا ما جاء في كتاب « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير في ترجمة القاضي البلّوطِيِّ !

والذي تبيّن لنا : أن أول من ذكره هو الحافظ ابن الأبّار ، وعنه ـ مباشرةً أو بواسطة ـ أخذ ابن كثير وغيره مِن المتأخِّرين .

وهكذا ظلّ رسم الكتابِ وشأنه خافِيًا مكتتمًا في أوساط النّقلةِ وأهلِ التوارِيخِ ـ ممن وصلت إلينا مصنفاتهم ـ طِيلة هذه القرون المتعاقِبة[١] !

وبعدما حفِظ لنا الحافظ ابن الأبّار اسم الكتابِ ونِسبته لمؤلّفه مع ما نقله منه[٢] ؛ فقد انقطعت أخباره إلا مِن بعضِ المؤرِّخين الذي تعرّضوا لاسمِه

---

(١) كلامنا هنا عمّا بلغه عِلْمنا فقط . أما المصنّفات المفقودة أوْ غير المطبوعة فلم نتعرّض لها بكلامنا في هذا المقام .

(٢) وهو نقْلٌ واحد فاذٌّ مضىٰ بيانه سابقًا .

فقط ، دون أن يكونوا وقفوا عليه أو خبروا حاله[1] .

ثم يشاء الله أن تظهر نسخةٌ كاملةٌ مِن هذا الكتاب في القرن التاسعِ الهجري تقريبًا ، ومع كون هذه النّسخة لم تحتفِظ بأيّةِ معلوماتٍ حول أصلِها المنقولِ منها ، فكذلك لم يرِد فيها اسم الناسخِ ولا تاريخ نسخٍ !

ومِن غرائبِ الأحوال أن الكتاب لم يقع في جزءٍ مفردٍ مستقلٍّ به وحده ، بل وقع في آخِر مجموعٍ يحتوي عِدّة كتبٍ أولها كتابٌ يتعلّق بالتفسير ! فلذلك لم يفطن للكتاب أحدٌ ممن وقف على المجموع سابقًا .

لكن لكون الله أراد لهذا الكتابِ اللطيفِ أن يخرج للناس بعد هذا الغيابِ الطويل ، فقد وفّق سبحانه وتعالىٰ بعض الأفاضل المعاصِرين من أهلِ البحث والتنقِيب للوقوفِ عليه والتفطّنِ له . ولعل في هذا كرامةً مِن الله لمؤلِّفه ابن عبد البرّ ، وللمترجم له القاضي البلّوطِيّ .

الوصف الإجماليّ لبياناتِ النّسخةِ :

اسم المكتبةِ : مكتبة أحمد الثّالِث ـ بِتركِيا .

رقم النّسخةِ في المكتبة : (٨٥) . وهي ضِمن مجموعٍ .

عدد الأوراقِ : (١٤) لوحة .

عدد الأسطرِ : تتكوّن مسطرة الصّفحة الواحِدة من : (٢٥) سطرًا غالِبًا .

نوع الخطِّ : نسخٌ مقروء .

لون المِدادِ : أسود ، وأحمر .

اسم الناسِخِ : لا يوجد .

تارِيخ النّسخِ : لا يوجد .

---

(١) والظاهر : أنهم أخذوا اسْمه عن الحافظ ابن الأبّار مباشرةً أو بواسطة .

الوصف التّفصيليّ لبياناتِ النّسخةِ :

هي نسخةٌ فرِيدةٌ لا نعلم لها أختًا في مكتباتِ العالمِ بعد مزِيدِ النّظرِ ، ولقد ظفِرنا بها ـ بتوفِيقِ الله تعالى ـ في مكتبةِ السلطان أحمد الثّالِث بتركِيا برقمِ : (٨٥) . وهي ضِمن مجموعٍ تبدأ فيه مِن اللّوحة (١٥١) ، وتنتهِي عند اللّوحة (١٦٢) ، وهي في (١٤) لوحة .

جاء في الورقة الأولىٰ عنوان الكِتاب هكذا : « أخبار منذِرِ بنِ سعِيدِ القاضِي وسِيرته ، عنِي بِجمعِها الفقِيه : أبو عمر يوسف بن عبدِ اللهِ بن محمّدٍ ابن عبدِ البرِّ النّمرِيّ » .

وجاء في خِتامِ النّسخة ما نصّه : « قال أبو عمر : هذا آخِر ما وصل مِن أخبارِهِ إلينا ، وما غاب منها عنّا فهو ـ إن شاء الله ـ نحو ما ذكرنا ، والحمد للهِ ربِّ العالمِين . تمّ الكِتاب بِحمدِ الملِكِ الوهّاب ، وصلّىٰ الله علىٰ سيِّدِنا محمّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلّم » .

وجاء تحت هذا الخِتام تملِيكٌ هذا نصّه : « الحمد لله ، مِن كتبِ العبدِ الفقِير إلىٰ الله تعالىٰ : أبو بكرِ بن عمر بن أبي بكرِ بن عمر الجنابِيّ ، عفا الله تعالىٰ عنهم بِمنِّهِ وكرمِهِ آمِين » . وليس علىٰ النّسخة تارِيخ نسخٍ ، ولا اسم ناسِخِها .

وهي مِن خطوط القرن التاسع الهجري تقريبًا ، وقد وقعت ضِمن مجموعٍ يحتوِي علىٰ ثلاثة كتبٍ[1] كلها بخطٍّ واحد ، وليس في أحدِها تارِيخ نسخٍ ، ولا اسم ناسِخٍ أيضًا . لكن علىٰ الورقة الأولىٰ من المجموع عِدّة تملّكاتٍ

---

(١) الكتاب الثاني هو : « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » لابن عبد البرّ ، يلِيه كتابنا هذا ، وهو آخِر المجموع .

أقدمها تملّكٌ بخط الإمام العلّامة محمد بن إبراهيم الغزّي الحنفي[1] .

وقد تخلّلت النّسخة بعض الجذاذات[2] التي ألزقت في صلبها ، وهي ورقتان وحسب ، جاء ذلك في الورقة التي على اليسار من اللّوحة [ق/١٥٢/ب] ، والورقة التي على اليمين مِن اللّوحة [ق/١٥٣/أ] . وليس فيهما أيّ صلةٍ بمادّة الكتاب ، وإنّما جاء فيهما بعض الأذكار والأدعية .

وقد كتِب النّصّ في النّسخة بالمِداد الأسود ، على كاغِدٍ يميل لونه إلى الصفرة ، وكتِبت رءوس فواصِلِ الخطبِ والحِكايات ، ونِقاط الوقف بين فِقراتِ النّصّ باللّون الأحمر .

وقد خلتِ النّسخة مِن البلاغاتِ ، ورموزِ التّصحِيح ، واللّحق[3] ، والمقابلة[4] .

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن محمد شمس الدين وجمال الدين الغزّي العامري مفْتِي دمشق المعروف بابن الغزّي المتوفى سنة : (٨٩٧هـ) . ينظر ترجمته في : « متعة الأذهان من التمتع بالإقران » انتقاء الحصكفي [٢/ ٥٨٩ـ ٥٦٠] ، و« الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » للغزي [١/ ٢٥ـ ٢٦] ، و« شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد [١٠/ ١٦] .

(٢) هي أوْراقٌ صغِيرةٌ توضع بين صفحاتِ المخْطوطات ، وغالِبًا ما تكون مكْتوبةً بِقلمٍ دقِيقٍ وبِأسْلوبٍ موجزٍ . ينظر حولها في : « علم الاكتناه العربي الإسلامي » لقاسم السامرائي [ص/ ١٨٦] .

(٣) إلّا قلِيلًا جِدًّا في « اللّحقِ » خاصّة ؛ فقد جاء إثْباته في مواطِن معْدودةٍ ، منها في الهامِش الأيْسر مِن اللّوْحة [ق/ ١٥٤/ و] . وكذا في الجانِب الأيمن مِن اللّوْحة [ق/ ١٥٨/ ظ] . واللّحق الأخِير جاء في الجانِب الأيمن من اللّوْحة [ق/ ١٦١/ ظ] .

(٤) مِثْل كلِمةِ : « بلغ وصحّ » ونحْوهما . وهي علامةٌ مشْهورة مِن رموزِ التّصْحِيحِ والمقابلة ، توضع على موْضِعِ الوقْفِ إذا صحّح الكِتاب على الشّيْخ ، أوْ كان مقابلًا . وينظر في ذلك : كتب مصْطلح الحدِيث ، و« معجم الرموز والإشارات » للمامقانِيّ [ص/ ١٠٥] .

وقد كتبتِ النّسخة بخطِّ النّسخ المقروء ، وهي غير مطّردةِ الإعجام والإهمال ، مع سقوطِ الهمزةِ وتسهيلِها في مواطِن ليست بقليلةٍ .

وقد نسخها الناسِخ علىٰ غير قواعِدِ خطِّ النّسخ المتداول[1] ؛ فنتج عن ذلك خلط الحروف التي ينبغي تفرِقتها ، وذهاب أسنانِ ما ينبغِي إقامة أسنانِه مِن الحروف ، وطمس ما ينبغِي إظهار بياضِه منها ، إلىٰ غير ذلك مِن الأغلاط والأوهام والأسقاطِ التي وقعت له رحمهُ اللهُ .

(١) وسيأتي في منهج التحقيق ما ظهر لنا مِن حال الناسخِ وتقْيِيمِ النسخة ، مع بيان طرفٍ مما عانيْناه في سبيل تقويم أغلاط راقِمِها واضطرابِ قلمِه .

منهج التحقيق

هنا كلمة مهمّة قبل الولوج في المنهج الذي اتّبعناه في إخراج الكتاب على نسختِه الوحيدة ، فنقول :

لا يخفىٰ علىٰ المشتغِلين بإخراج تراث الأسلاف : المشاقّ التي تواجِه الباحث إزاء العملِ علىٰ إخراج كتابٍ ليس له سوىٰ نسخةٍ وحيدة في مكتبات العالم[1] ، فكيف إذا كانت النّسخة قد شاع فيها السقط والخطأ ، وضروب التصحِيف والتّحرِيف ، وقِلّة الضبط الصّحِيح ، وغير ذلك مما يشِير إلىٰ كون ناسخِها لم يكن من أهل العِلم ، ولا ذوِي المعرفة بأصول الكِتابة وقانون النِّساخة .

وقد أصاب وصدق الأستاذ الطاهر أحمد مكي حين قال : « ليس أصعب مِن تحقيقِ كتابٍ مخطوطته وحيدة ، ونصّه ملِيءٌ بالأخطاء »[2] .

بل كان بعض أفاضِل الباحثين المحقِّقين يعدّون العمل علىٰ النّسخة الوحيدة السقيمة مِن باب « المغامرة » و« المخاطرة » !

---

(١) وهذا بحسب ظنّ كل باحث ، وليس في حقيقة الأمر ؛ لاحتمال وجود نسخ أخر مطمورة الذِّكر ، أوْ في مكتبات خاصة غير مفهرسة ، ونحو ذلك مِن خبايا الزوايا .

(٢) في مقدمة تحقيقه لـ : « طوق الحمامة » لابن حزم [ص/٨] . نقلًا عن بحث : « من قضايا تحقيق التراث » . لمصطفىٰ اليعقوبي . منشور في مجلة التاريخ العربي [العدد : ١٣] .

فيقول العلامة عبد الله كنون رحمهُ الله[1] : « إن نشر كتابٍ ما على أصلٍ واحدٍ مملوءٍ بالأخطاء : مغامرةٌ كبيرة لا يرتضِيها العِلم ولا قواعد النشر والتحقيق ، ولكن إذا لم يكن هناك أملٌ في وجود نسخةٍ ثانية للكتاب ، وكان الاعتقا جازِمًا بأن هذا الأصل هو الوحيد الذي أفلت من عوادِي الزمن ، فما العمل إذن ؟ وقد سبق أنِ امتحِنت بمثل هذه المغامرة مرتينِ . . . فسلّم الله ومرّ الامتحان برِفق . . . » .

نعم : هناك وسائل وأساليب أخرىٰ يمكن للباحث المجِدّ التعريج عليها لرأبِ الصدع ، وتقويمِ العِوج ، وإقامةِ النصِّ علىٰ النهج المرضِيّ وهو بصدد عملِه في إخراج النّسخة الوحيدة ، ولعل أقوىٰ هذه الوسائل : هي الاستعانة بالمصادر الأخرىٰ التي رجع إليها المؤلف أو التي نقلت عنه .

لكن لا يزال الأمر يزداد صعوبةً إذا كانت مصادر المؤلفِ في كتابه ما بين غائبٍ ومفقود غالبًا ! مع عِزّة النقول عنه أيضًا في المصادِر التي جاءت بعده !

لكن عزاؤنا في العزم علىٰ العملِ في هذه النسخةِ يعود لأمرينِ :

أ ـ الأول : ندرة الكتاب وشرف المترجِم والمترجم له .

ب ـ تقدير الجماهير وأهلِ البصيرة لعملِنا في الكتاب مع ما ذكرناه مِن حال النّسخة التي أكرمنا الله تعالىٰ بها بفضلِه وجودِه ، بعد أن مكث الكتاب في ظِلِّ النسيان مئاتِ السِّنين لا يهتدِي إليه إلا من وفّقه الله له ، ولعل هذا مِن أسباب قلةِ النقل عنه وعدم ذيعانِه بين أهل السِّير والتوارِيخ ، مع أهمية مادتِه المتعلِّقة بأحد أعلام الغرب الإسلامي مِمّن طار ذِكرهم ، وانتشرت مآثِرهم .

---

(١) في مقدمة تحقيق لـ : « مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا » لعبد العزيز الفشتالي [ص/٨ ـ ٩] . نقلًا المصدر السابق .

وبعد : فقد سلكنا في تحقيقِ هذا الكِتاب الطّرق الآتية :

١ـ حاولنا بِقدرِ المستطاع إخراج النّصّ سالِمًا مِن التّحريفِ والتّصحيفِ ، معتمدين في ذلك علىٰ النّسخةِ التي سبق وصفها .

٢ـ نظمنا النصّ علىٰ نسقٍ واحِدٍ مِن أوّلِه إلىٰ آخِره بما يفيد فهمه فهمًا جيدًا ، ويظهِر معانِيه ودلالاتِه واضِحةً جلِيّةً .

٣ـ قمنا بِعزو الآيات القرآنِيّة إلىٰ مواطِنِها ، مع ترقيم تلك الآيات ، وجعلنا ذلك في نصّ الكِتاب .

٤ـ أثبتنا أرقام صفحاتِ النّسخة الخطِّيّة في متنِ النصِّ عند نِهايةِ كلِّ صفحةٍ ، ورمزنا لِوجهِ الورقةِ مِن كل « لوحة » بالحرف : « و » . ولِظهرِها بالحرف : « ظ » ، وجعلنا ذلك بين معقوفتينِ « [] » .

٥ـ وقد اتّبعنا في رسمِ النّصوص : قواعِد الإملاء الحدِيثة التي تعارف عليها القوم في هذا العصر . وأمّا ما جاء فيها مِن الاختِلاف في الرّسم : فإنّا قد أخذنا فيه بما قرّره مجمع اللّغة العربيّة بالقاهِرة . والأمر في ذلك هيِّنٌ ـ إن شاء الله تعالى ـ لا يخطّأ فيه أحدٌ ؛ فجمِيع المختلف فيه قد تكلّم به العرب نظمًا ونثرًا ، وهو بابٌ واسِعٌ ، كثرت فيه الآراء ، واضطربت فيه الأقوال .

٦ـ قمنا بِتوجِيهِ تلك الكلِماتِ والعِباراتِ التي جاءت في صلبِ النّصِّ علىٰ خِلافِ الجادّة مِن الصِّناعة النّحوِيّة ، فما كان منها له وجهٌ مِن ذلك مقبولٌ في العربيّة ؛ فإنّا لم نجزِم بِتخطِئتِه ؛ بل قد أشرنا إلىٰ توجِيهِه بما حضرنا مِن تلك الوجوه والتّخارِيج النّحوِيّة ؛ ولم نستروِح في التوجِيهِ إلا فيما اطمأنّ له القلب مما غلب علىٰ الظنِّ أنه مِن أصلِ الكتاب ، وليس مِن تحريفات قلمِ النّاسِخ !

٧ـ اعتنينا عِنايةً بالِغةً بِضبطِ النّصِّ ، فقمنا بِتشكِيل ما يشكِل مِن ألفاظِه

وجملِه وعِباراتِه ، وقد قيّدنا ما يخشىٰ وقوع التّصحيف والتّحريف فيه ضبطًا بِالحروفِ في الحاشية ؛ زِيادةً في التّحرّي ، بل إننا قمنا بِضبطِ غالِبِ نصِّ الكِتاب ؛ وذلك مِن بابِ الحِلية والتّزيين .

٨ـ ارتأينا مِن بابِ تقريبِ الكتابِ على القارئ أن نجعل لِفقراتِ النصِّ عناوين جانبيةً توضِيحية ، وجعلنا ذلك بين معقوفتينِ « [] » كي لا تختلِط علىٰ القارئِ الكريمِ بمتنِ الكتاب .

٩ـ ترجمنا لغالِب الأعلام الوارِدِ ذِكرهم في متنِ الكتاب ترجمةً موجزة .

١٠ـ رجعنا في ضبطِ الأعلام ـ الواقِع ذِكرهم في الكِتاب ، مِن الأسماء ، والكنىٰ ، والألقاب ، والأنساب ـ : إلىٰ كتبِ المشتبِه ، والأنساب ، والتّراجِم ، والبلدان ونحوها . ولم نصرِّح بالمصادِر والمراجِع التي وقفنا عليها ـ عند تقييدِنا لضبطِ هذه الأعلام ـ ؛ خشية إثقال الحواشِي .

١١ـ قمنا بِالتّعرِيفِ بِأكثر المدن والبلدان التي ذكِرت في متنِ الكِتاب ، معتمِدِين في ذلك علىٰ الكتب المتقدِّمة والمعاصِرة .

١٢ـ أشرنا إلىٰ ما وقع في أصلِ النّسخة الخطِّيّة مِن سهوٍ ، أو وهمٍ ، أو خطإٍ ، وأثبتنا في متنِ النّصِّ ما رأيناه صوابًا أو قرِيبًا إلىٰ الصواب ، وقد أشرنا إلىٰ ذلك في حواشِي التّحقِيق ، ولم نر التنبيه علىٰ جملةٍ مِن أخطاء الناسخِ الواضِحات في كل مرة ؛ فضلًا عن تعقّبِ طغيانِ قلمِه الذي لا يسلم منه أحد في العادة . وتركنا بياضًا (. . .) للكلمات التي لم نهتدِ إلىٰ قراءتِها .

١٣ـ وكذا أشرنا إلىٰ الفروق المهِمّة التي وقعت في أصلِ النّسخة ، وما وقع في بعض المصادِر التي نقل عنها المؤلِّف أحيانًا ، فأثبتنا ما جاء في النّسخة الخطِّيّة في النّصِّ ، وأشرنا إلىٰ ما خالفه في حواشِي التّحقِيق .

١٤ـ وقد اكتفينا فقط مِن التَّعليقات بما كان مِن قَبيل تعريفِ ما أغفله المؤلِّف ، أو توضِيح ما أبهمه ، أو شرح بعضِ الكلِمات اللُّغوِيّة .

١٥ـ وأخيرًا : قمنا بِعملِ فهارِس لِموضوعاتِ الكِتاب ، وتشتمِل على :

١ـ فهرس الآيات القرآنية .

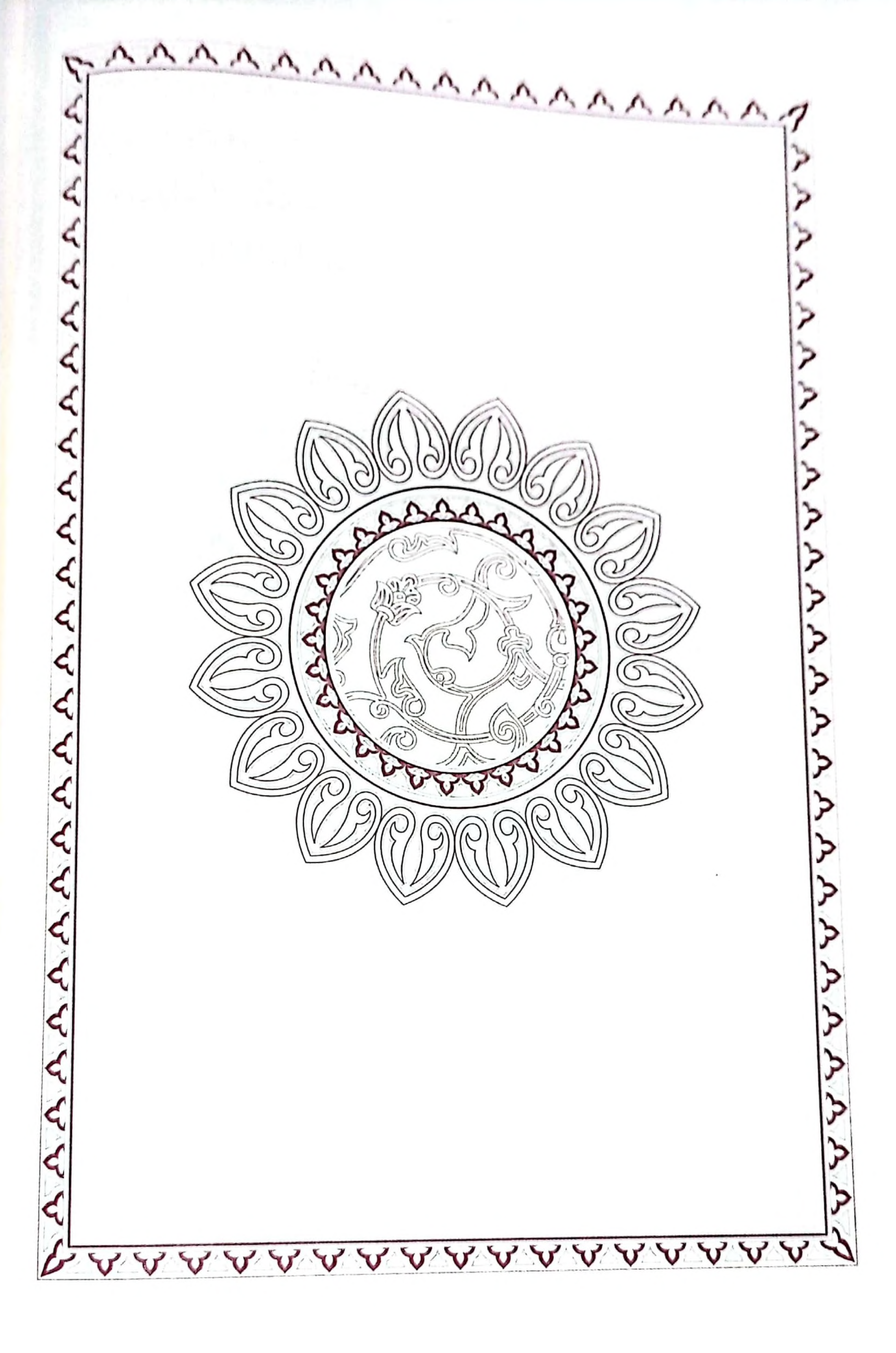
٢ـ فهرس الأعلام .

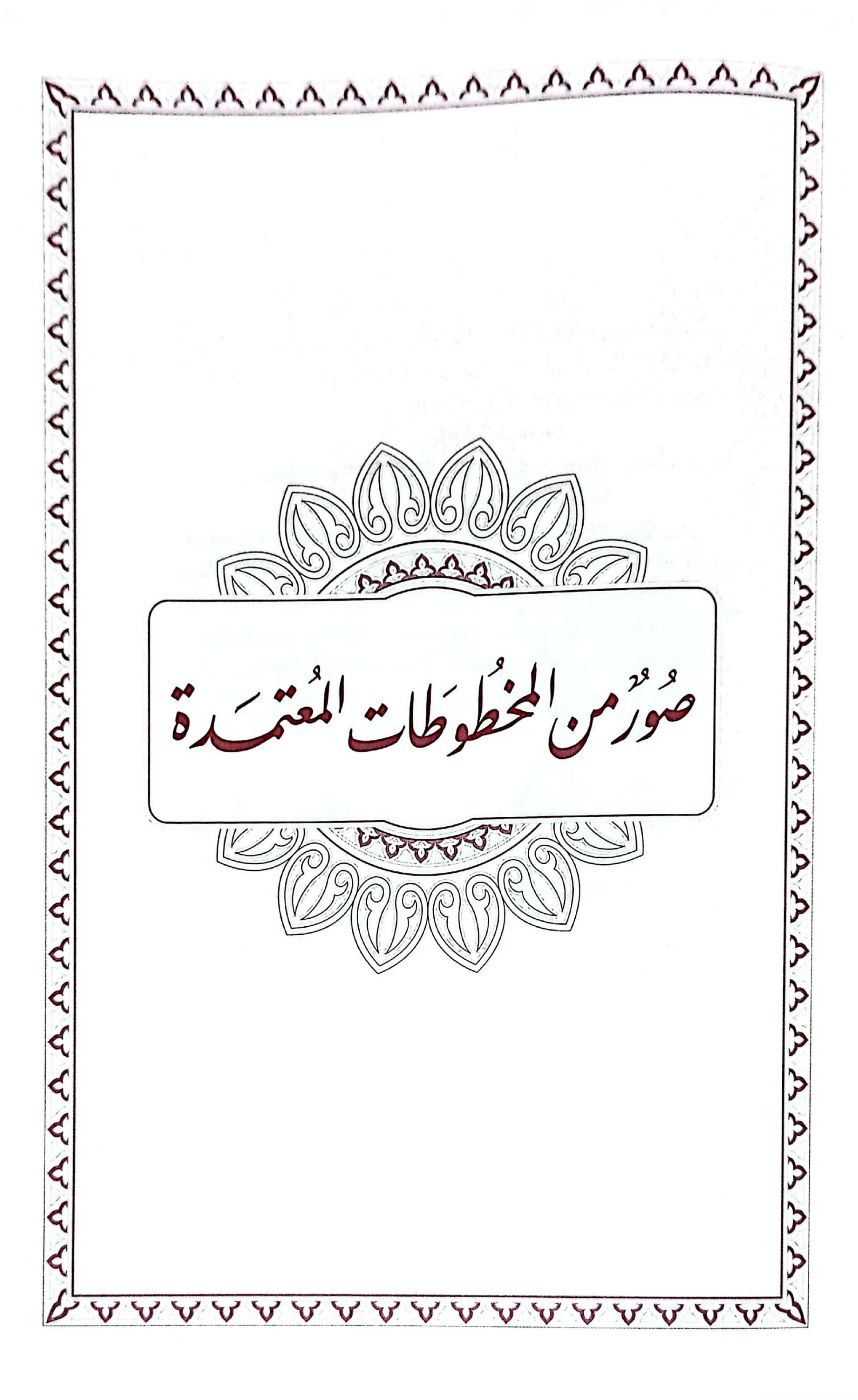
٣ـ فهرس البلدان والأماكن .

٤ـ فهرس الكتب المذكورة في متن الكتاب .

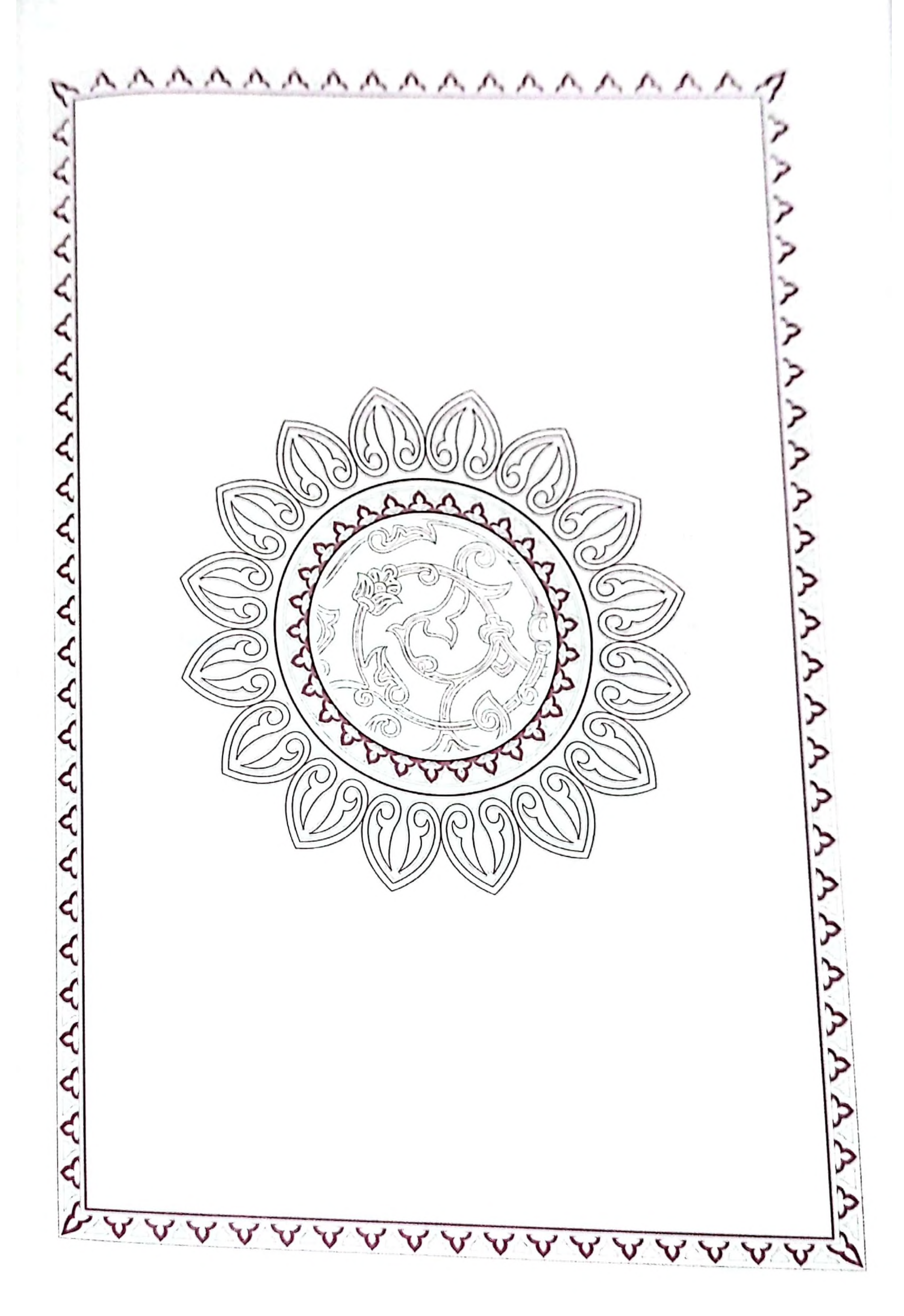
٥ـ فهرس المصادر والمراجع .

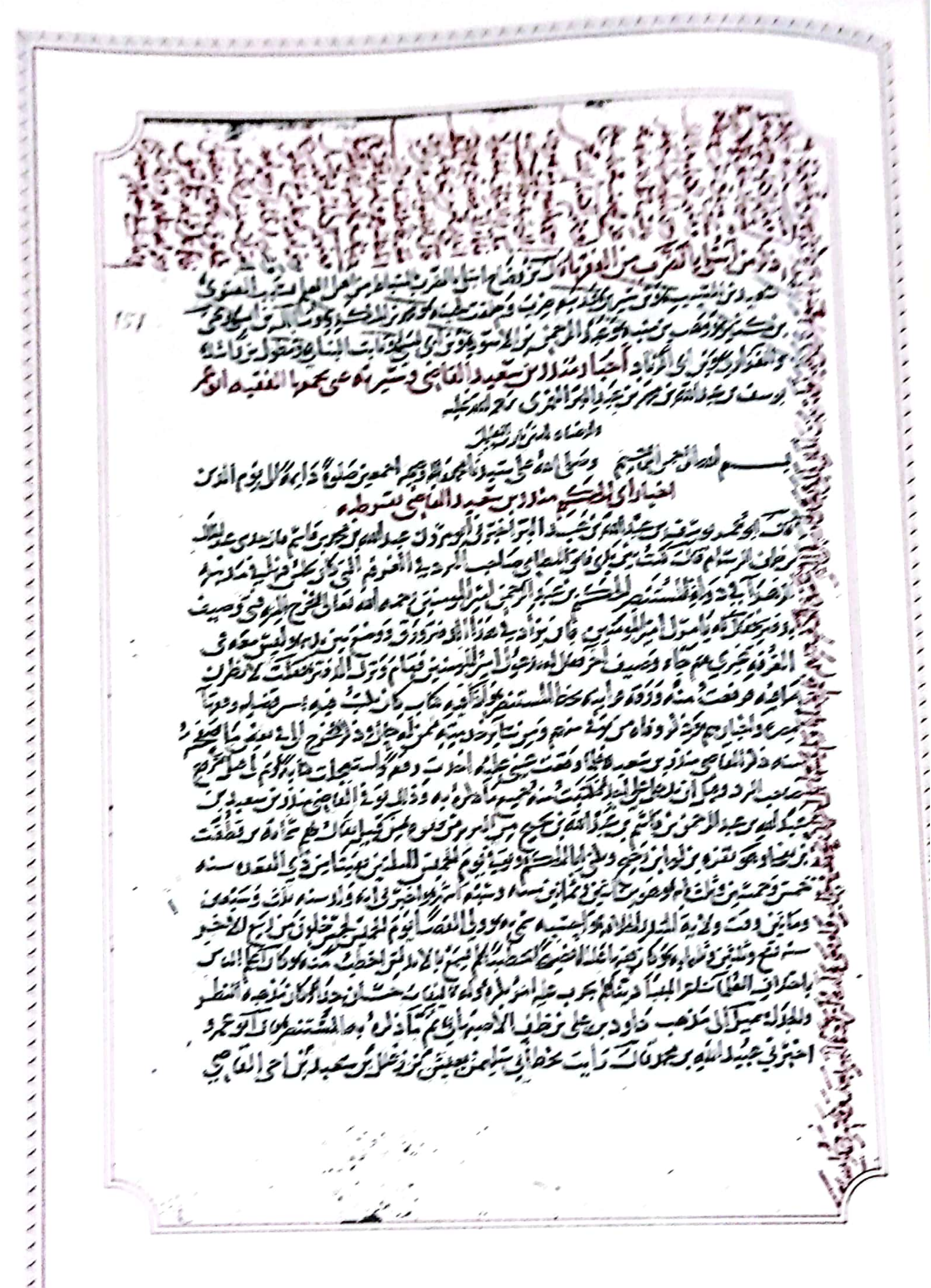
٦ـ فهرس الموضوعات .





صُورٌ من المخْطُوطَات المُعتَمَدَة





يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين

أخبار أبي الحكم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة

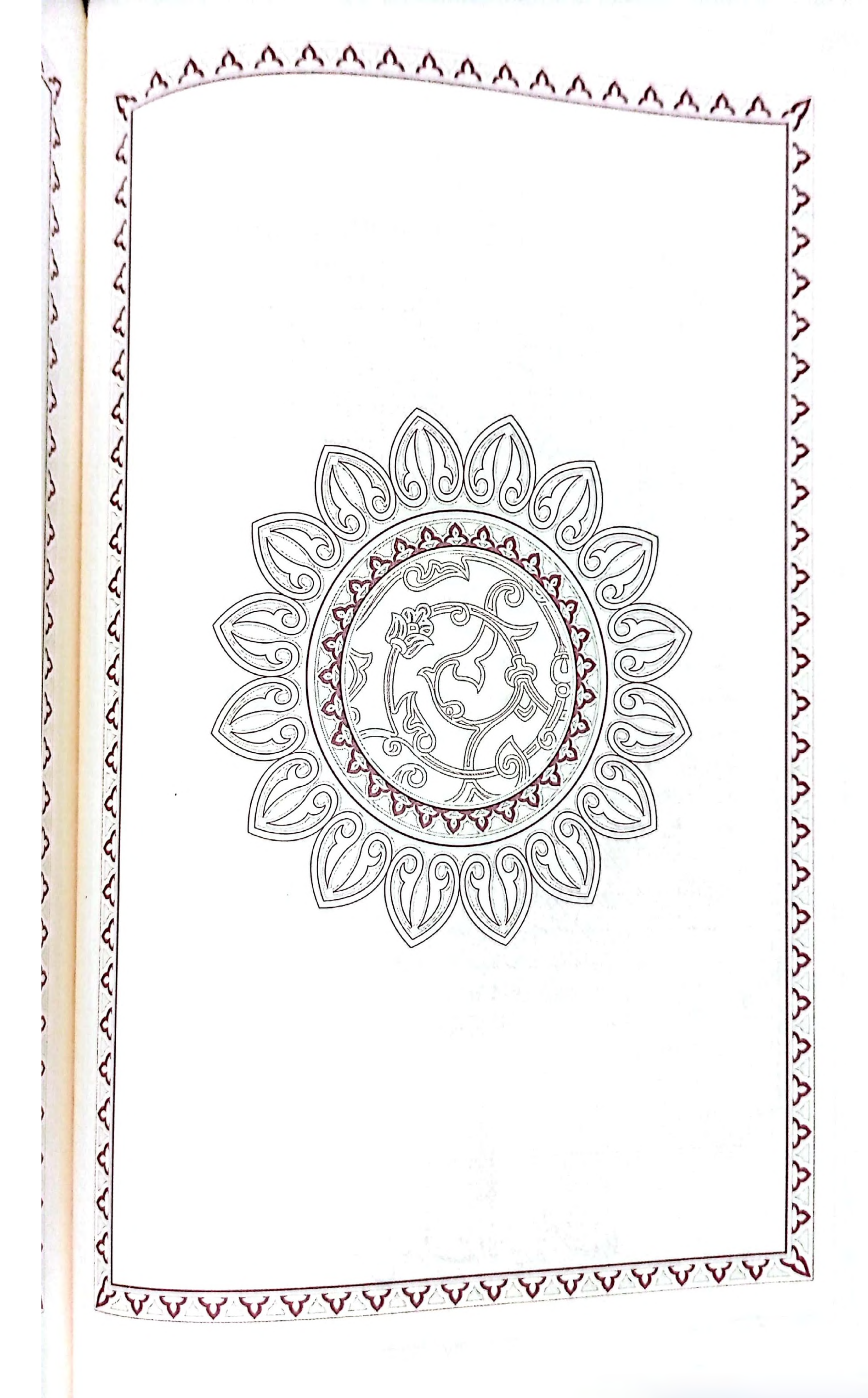
صورة عن الورقة الأولى من النسخة الخطية

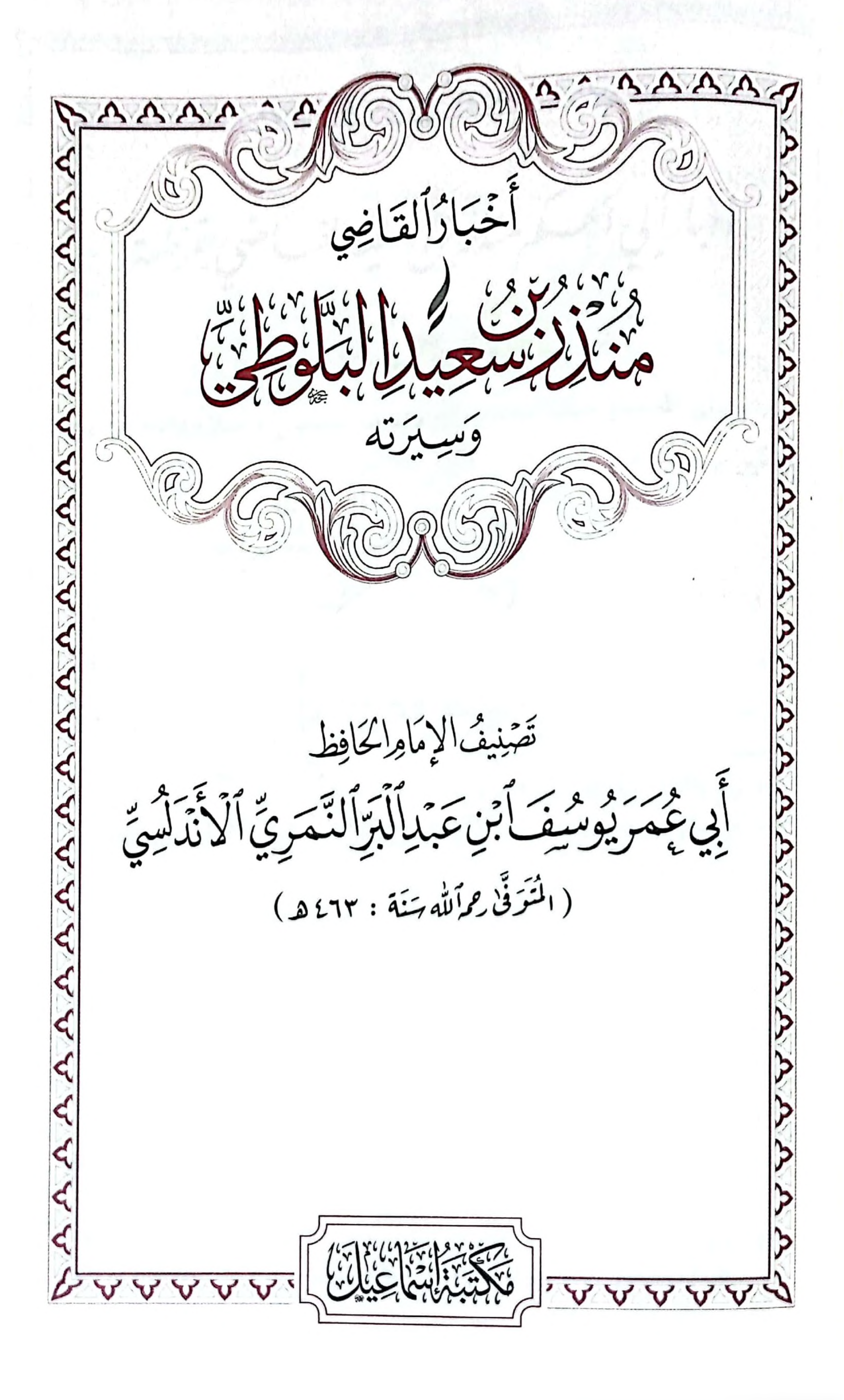
صورة عن اللوحة الثانية للمخطوط

قال أبو عمر وكان لا يزال السلطان والولد ينفسه حتى الحين يخبر أنه قال له كان ولي العهد يعد
أحلى مرة في شيء فأنفت وانصرفت واعتبر إذن مغاضبًا فعلى [illegible] وكان استحلى له وإن أمر
لسوء صناعة فلم أفعل فبقي ستة عشر شهرًا لم أره ولم استزله ولا التفت إليه يعرف فلما طال
استطالة ويئس من ارتدادي ابتدأ بفضله فأرسل إلي وأدخلني إلى نفسه. قال أبو عمر أخبرني
بعض شيوخي عن بعض من كان يخدم حسداي وكان خادمًا لولي العهد الحكم في كثير من أموره ونهي
في أمر الكتب أنه لما أتى منذر بن سعيد من المشرق وجرى ذكره عند ولي العهد واستقدمه
من وطنه إلى قرطبة جرى أمره على يد حسداي بما أمر به ولي العهد وسأله عن أشياء وسمع جوابه فيها
ثم دعاه إلى ضيافته فتعالى عليه وامتنع فلما تقضى ذلك وانصرف منذر جعل حسداي يتبعه
بصره شاخصًا ويحرك رأسه متعجبًا منه وقد هاله [illegible] وكذلك كان رابط الجأش صلب
النفس ذو منظر ومخبر وكان يتسبب تواضعهم بصف قديم أمره وأحواله مما كان زعم بأنه كان
أن يسمع أن يسمع من عز من فضلاء أن يصف بذلك نفسه أخبرني بعض ولده قال سمعته مرة
وقد ذكروا أولية أباه من بلده فقال وأنا يومئذ في كتاب قال وسمعته مرة ثانية
يقول لما دخلت قرطبة وافقت ذلك الوقت أيام أبي عمر بن عبد ربه وله دولة ومجلس يعمد
بالنحو والشعر والأدب فلما [illegible] في كل من يحضره كل عالم وأديب فمضيت مع من مضى ووافقت
المجلس قد احتفل وأنا بكسائي فلم يكن لي موضع إلا موضع الاحتفاء فألقى ابن عبد ربه مسألة واختار
كلامًا فتكلم العلماء والأدباء واختلفوا وحضرني فيها جواب فقلت لمن يليني فيه الجواب إليه
فقال أروني من قال هذا فقال أنت [illegible] فأشاروا إلي فقال إلي إذن فلم يزل يدنيني حتى انتهيت
إليه فأقعدني إلى جنبه ومن قلة مباهاته بعلمه ما أخبرني به أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد قال
حضرت بمجلسه وقد أوعز القارئ بقراءة الدولة من كتاب العقبونية وحكى بقراءته
إنشاد أبيات القاضي المذكور بعد فراغ خطبته عند قدوم وفود الروم فلما ابتدأها
كان الحكم لم يستجد ذلك فقام واستقبل القبلة وهو في المسجد فلم يزل يصلي والقارئ يقرأ
حتى أتى على آخرها. قال أبو عمر هذا آخر ما وصل من أخبار البناه ومما فات
منهم عنا فهو إن شاء الله نحو ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

[illegible] عبد الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة عن الورقة الأخيرة للمخطوط





أخبار القاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله وسيرته

تصنيف الإمام الحافظ

أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري الأندلسي

(المتوفى رحمه الله سنة: ٤٦٣ هـ)

مكتبة إسماعيل



أخبار أبي الحكم منذر بن سعيد القاضي بقرطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيِّدنا محمّدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعِين ، صلاةً دائِمةً إلى يومِ الدِّينِ .

ترجمته من كتاب الخليفة المستنصر بالله

قال أبو عمر : يوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ : أخبرني أبو مروان عبيد[1] اللهِ بن محمّدِ بن قاسِمٍ[2] ، قال : حدّثني عبد الملِكِ بن خلفٍ الرّسام[3] قال : « كنت بين يدي فائِقٍ النِّظامِيِّ[4] صاحِبِ البرد[5] ، في الغرفة

---

(١) وقع بالأصْل : « عبد » . وهو تحْرِيف .

(٢) هو : أبو مرْوان عبيْد اللهِ بن محمدِ بن قاسِمِ الكزْنِيّ . له رِوايةٌ عن : أبي عبيْدٍ القاسِم بن خلفِ بن فتْحِ بن عبْدِ اللهِ الجبيْرِيِّ الطّرْطوشِيّ . وحدّث عنه : أبو عمر ابن عبد البرِّ . ينظر ترجمته في : « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس » لابن بشكوال [ص/ ٢٩٠] . و« الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة » لابن قطْلوْبغا [٣٨/٧] . وتحرّف عنده « الكزني » إلى : « الكديمي » !

(٣) لم نفْطن له ! ونخشى أن يكون اسمه الأول تصحّف على الناسخ ، وصوابه : « القاسِم ابن خلف » . فهو المعروف برواية عبيْد اللهِ بن محمّدِ بن قاسِمٍ عنه كما مضى في ترجمته .

(٤) فائِق النِّظامِيّ هذا هو أحد كِبارِ الصّقالِبة في دوْلةِ المسْتنْصِر باللهِ الحكم بن عبد الرّحْمن . وقد جاء ذِكْره في « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » لابن عذاري [٢٥٩/٢] .

(٥) البرد ـ بضم الباء والراء ـ : جمْع : برِيد . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [١/ ١١٥/ مادة : برد] .

التي كان يجلس فيها في مدينةِ الزّهراء[1] ، في دولةِ المستنصِر الحكمِ بن عبد الرّحمن أمِيرِ المؤمِنِين رحمهُ اللهُ تعالى[2] ، فخرج إليه فتًى وصِيفٌ[3] بِدفترٍ ، فقال له : يأمرك أمِير المؤمِنِين بأن يزاد في هذا الدّفتر ورقٌ ، ووضِع بين يديهِ ، وليس معه في الغرفة غيرِي .

ثم جاء وصِيفٌ آخر فقال له : يدعوك أمِير المؤمِنِين ، فقام وترك الدّفتر ، فقلت : لأنظرنّ ما فيه ، فرفعت منه ورقةً فرأيته بِخطِّ المستنصِر ، وإذا فيه كِتابٌ كان يكتب فيه بِسِيرِ قضاتِه[4] ، وفقهاءِ مِصرِه وأخبارِهم ، وذِكرِ وفاةِ من توفِّي منهم ، ومِن سائِرِ خدمتِه مِمّن له حالٌ وذِكرٌ .

فخرج إليّ في بعضِ ما تصفّحته منه : « ذِكر القاضِي منذِر بن سعِيدٍ » ، فلمّا وقعت عينِي عليه أخذت رقعةً ، واستعجلت كِتابةً ، وتمّ لِي قبل خروجِ صاحِبِ البرد وقبل أن يدخل عليّ أحدٌ ، فكتبت منه جمِيع ما ذكره به .

---

(١) الزّهْراء : هي مدِينةٌ صغِيرة قرْب قرْطبة بالأنْدلس ، بناها عبد الرّحْمن النّاصِر الأموِيّ سنة : (٣٢٥هـ) . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٣/ ١٦١] . و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري [ص/ ٢٩٥] .

(٢) هو أبو العاص الحكم بن عبد الرّحْمنِ بن محمّد المسْتنْصِر بالله ابن النّاصِر الأموِيّ أمِيْر المؤْمِنِيْن بالأنْدلس ، بوْيع بالخِلافة بعد أبِيْهِ ، وتوفِّي سنة : (٣٦٦هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ١٥] . و« سير أعلام النبلاء » للذهبي [٨/ ٢٦٩-٢٧١] .

(٣) الوصيف : الخادم غلامًا كان أوْ جاريةً . يقال وصف الغلام ، إذا بلغ حدّ الخِدْمة ، فهو وصيفٌ بيِّن الوصافة . والجمع وصفاء . ينظر : « الصحاح في اللغة » للْجوْهري [٤/ ١٤٣٩ / مادة : وصف] .

(٤) بالأصل : « قضائه » ! ولعل الصواب ما أثبتناه .

تقييد مولده ووفاته وشيء من أخباره

وذلك[1] : « توفِّي القاضِي منذِر بن سعِيدِ بن عبد الله بن عبد الرّحمنِ بن قاسِم بن عبد الله بن نجِيحٍ ، مِن البربر ، مِن نفزة[2] ، مِن قبِيلٍ يقال لهم : سماتة[3] بن قطفت[4] بن ينحا ، وهو نفزة[5] بن لوىٰ بن رحيح[6] ، ويكنّىٰ أبا الحكم .

---

(١) أي : ما جاء في هذا الدّفْتر .

(٢) نفْزة ـ بالفتْح ، وسكونِ الفاء ، بعدها زايٌ . ويقال لها أيضًا : « نفْزاوة » ـ : هي قبِيلةٌ مِن قبائِلِ البرْبر ، ينْسب إليها القاضي منْذر البلّوطِيّ . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٥/ ٢٩٦ـ ٢٩٧] . و« تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » لابن حجر [٤/ ١٤٤٣] . وهذه الكلِمة قد وقعتْ في الأصْل غير واضِحةٍ ، ومهْملةً تمامًا مِن الإعْجام . فقرأْناها بما أثْبتْناه ؛ لأنّها جاءتْ في الرّسْم قرِيبةً لِما هو مسطور في نسبِ البلّوطِيِّ .

(٣) سماتة ـ بِضمِّ السِّين ، وتخْفِيفِ المِيم ، وبعد الألِف تاء ، ثم هاء النِّسْبة ـ : هي بطْنٌ مِن نفْزة ، وهي قبِيلةٌ كبِيرة بالمغْرِب . ينظر : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » لابن حجر [٢/ ٧٤٧] . و« الطراز الأول » لابن معصوم [٣/ ٢٤٦] . وقد وقعتْ هذه الكلِمة في غير مصْدرٍ هكذا : « سوماتة » . بِزيادةِ حرْفِ الواو . ينظر : « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم [ص/ ٤٩٧ـ ٥٠٠] . و« تاريخ ابن خلدون » [٦/ ١٣٨] . و« البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » للمقريزي [ص/ ٣٢] .

(٤) كذا رسِمتْ في الأصْل ، وعند البعض : « بن يطوفت » . ينظر : « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم [ص/ ٤٩٧ـ ٥٠٠] . و« تاريخ ابن خلدون » [٦/ ١٣٨] . و« البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » للمقريزي [ص/ ٣٢] .

(٥) في المصادر : « بِنفْزاو » . ينظر : « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم [ص/ ٤٩٧ـ ٥٠٠] . و« البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » للمقريزي [ص/ ٣٢] . و« الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ » للسلاوي [١/ ١٧٨] .

(٦) كذا رسِمتْ في الأصْل ، وفي بعض المصادِر : « رحيك » . وفي بعضها : « زجيك » . وقيل غير ذلك . ينظر : « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم [ص/ ٤٩٧ـ ٥٠٠] . =

وتوفِّي في يومِ الخميسِ لِليلتينِ بقيتا مِن ذِي القِعدة سنة خمسٍ وخمسِين وثلاثِ مِئةٍ ، وهو ابن اثنتينِ وثمانِين سنةً وسبعة أشهرٍ .

وأخبرنِي[1] : « أنّه ولِد سنة ثلاثٍ وسبعِين ومِئتينِ وقت وِلايةِ المنذِر[2] للخِلافة » ، وأحسبه سمِّي به[3] ، وولِي القضاء يوم الخمِيسِ ، لِخمسٍ خلون مِن ربِيعِ الآخِر سنة تِسعٍ وثلاثِين وثلاثِ مِئةٍ .

وكان فقِيهًا عالِمًا فصِيحًا ، لم يسمع بالأندلس أخطب منه ، وكان أعلم النّاس باختِلاف العلماء ، شاعِرًا لبِيبًا ديِّنًا ، لم يجرّب عليه أمرٌ يكره .

وله تألِيفاتٌ حِسان جِدًّا ، وكان مذهبه النّظر والجدل ، يمِيل إلىٰ مذهبِ داود بنِ علِيٍّ بن خلفِ الأصبهانِيِّ[4] » . تمّ ما ذكره به المستنصِر .

= و« تاريخ ابن خلدون » [٦/١٣٨/٧/٧٩] . و« البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » للمقريزي [ص/ ٣٢] .

(١) الكلام للمستنْصِر بالله الحكمِ بن عبد الرّحْمن بن محمّد فيما قيّده في الدّفْتر المشار إليه . والذي أخبره هو صاحب الترجمة .

(٢) هو : أبو الحكم المنْذِر بن محمّدِ بن عبْدِ الرّحْمن بن الحكم بن هِشامِ الأمويّ أمِيْر المؤْمِنِيْن بالأنْدلس ، توفِّي سنة : (٢٧٥هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/١٣ـ ١٤] . و« سير أعلام النبلاء » للذهبي [٨/ ٢٦٣ـ ٢٦٤] .

(٣) أي : سمِّي علىٰ اسْمِه منْذرًا .

(٤) هو : شيخ الإسلام أبو سليْمان داود بن علِيٍّ بن خلفٍ الأصْفهانِيّ البغْدادِيّ ، المعْروف بـ« داود الظّاهِرِيّ » ، وإليه تنْسب الظّاهِرِيّة . توفِّي سنة : (٢٧٠هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ الإسلام » للذهبي [٦/ ٣٢٧] . و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » لابن السبكي [٢/ ٢٨٤] .

مدة سكناه بقرطبة

قال أبو عمر[1] : أخبرني عبيد الله بن محمّدٍ قال : رأيت بخط أبي سليمان يعيش بن زغلل[2] بن سعيدِ بن أخِي القاضِي [ق/١٥١/و] منذرِ بن سعِيدٍ[3] ، قال لِي القاضِي في رجبٍ سنة خمسٍ وخمسِين وثلاثِ مِئةٍ : « لِي منذ سكنت قرطبة ثلاثٌ وثلاثون سنةً ، ومضىٰ مِن عمرِي اثنانِ وثمانون سنةً » . فدلّ هذا علىٰ أنّه رحل إلىٰ قرطبة مِن كزنة[4] سنة اثنينِ وعِشرِين وثلاثِ مِئةٍ .

ترجمته من تاريخ الخشني

قال أبو عمر : رأيت في « تاريخ محمّدِ بن [حارث][5] بن

(١) وقع بالأصْل : « عمْرو » . وهو سهْوٌ مِن الناسِخ .

(٢) بفتْح الزاي وإسكانِ الغيْن المعجمة ولاميْنِ أوّلهما مفتوح . ينظر : « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للمراكشي [٤/ ١١٤] .

(٣) ترْجم له ابن الأبار بما حكاه المؤلِّف عنه هنا مِن أنّه : ابن أخِي القاضِي منْذرِ بن سعِيدٍ . ثم عزا ابن الأبار ذلك للمؤلِّف . ينظر : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [٤/ ٢٣٤] .

(٤) رسمها الناسخ : « كزو » ! والصواب ما أثبتناه . وكزْنة : ـ بضمِّ الكاف ، وسكون الزاي ـ : موْضِعٌ في ناحيةٍ بجزِيرةِ الأنْدلس ، قرِيبة مِن قرْطبة . يقال لها : « فحْص البلّوط » . وإليه ينْسب صاحب الترجمة وجماعة غيره . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٤/ ٤٥٩] . و« اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير [١/ ١٧٦] . و« نسبة ومنسوب » للزهراني [ص/ ٧٠٢] .

(٥) رسم النّاسِح مِن هذا الاسْمِ حرْفيْنِ فقط مع إعجام الأول هكذا : « خا » ، ثم وضع بياضًا بعدهما ! والصواب ما أثبتناه ، وهو أبو عبد اللهِ محمّد بن الحارِثِ بن أسدِ الخشنِيّ ـ بِضمِّ الخاء وفتْحِ الشِّين ـ القروِيّ ـ بِفتْحِ القاف والرّاء ـ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٦١هـ) . =

أسدٍ »[1] الذي وضعه في أخبارِ فقهاءِ الأندلس : ذكر منذر بن سعيدٍ ، فقال : « منذر بن سعيدِ بن عبد الله الكزنيّ ، مِن أهلِ قرطبة ، يكنّى أبا الحكم ، مِن أهلِ النّفاذ[2] والتّحصيل ، متقلّدٌ[3] للنّظر ، متدرّبٌ في المناظرة ، متخلّصٌ[4] بالإنصاف ، جيّد الفهم ، صحيح الغريزة ، نقيّ القريحة ، طويل العِلم ، بليغٌ في إفهامِه ، موجزٌ في كلامِه ، مستقصٍ في استِفهامِه ، يمِيل إلىٰ طرقِ الفضائِل ، ويوالِي أهلها ، ويلهج بِأخبارِ الصّالِحِين مستحسِنًا لها .

بيان رحلته للمشرق وما تولّاه بالمغرب

رحل حاجًّا سنة ثمانٍ وثلاثِ مِئةٍ ، فأقام في رِحلتِه أربعِين شهرًا ، وانصرف ، فأدخل الأندلس مِن علمِ النّظر ، ومِن علمِ اللّغة كتبًا كثيرةً .

= ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/ ١١٤ـ ١١٥] . و« الديباج المذهب » لابن فرحون [٢/ ٢١٢ـ ٢١٤] . و« شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » لابن مخلوف [١/ ١٤١] .

(١) قد وقفْنا للخشنِيّ علىٰ ثلاثةِ كتبٍ وضعها في رِجالِ أهْلِ الأنْدلس ، ليس فيها النّصّ الوارِد عنه هنا ، فلعلّه في كِتابٍ آخر له ؛ حيث إنّ مترْجِميه قد ذكروا أنّه صنّف في رِجالِ أهْلِ الأنْدلس عِدّة مصنّفاتٍ . نعم : ترجم له الخشنيّ ترجمةً مقتضبة في كتابه : « قضاة قرطبة » [ص/ ١٧٥ـ ١٧٦] ، وليست هي المرادة هنا ، والأقرب أن المقصود هنا هو كتابه : « أخبار الفقهاء والمحدِّثين » . وله طبعة وحيدة سيئة وناقصة . والنصّ الوارِد هنا عن « تاريخ الخشنِيّ » قد جاء بنحوه في « سير أعلام النبلاء » للذهبي [١٦/ ١٧٥] .

(٢) رسمها النّاسخ : « البفاد » . كذا بالباء والفاء المعْجمتيْنِ ، والدّال مهْملة . والمثْبت مِن : « سير أعلام النبلاء » للذهبي [١٦/ ١٧٥] .

(٣) يقال : تقلّد الشّيء ؛ إذا حمله وتولّاه . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٣/ ٣٦٧/ مادة : ق ل د] .

(٤) كذا رسمها النّاسخ في الأصْل : « متخلص » . وعند الذّهبِيّ : « متخلِّقٌ » . وهو الأليق بالسّياق . ينظر : « سير أعلام النبلاء » للذهبي [١٦/ ١٧٥] .

وامتحنه أمِير المؤمِنين بغيرِ ما أمانةٍ ، وأخرجه رسولًا لِغير ما وجهٍ ، فخلص محمودًا ، وأقام بِما حمِّل مشكورًا ، ثم ولّاه قضاء كورة[1] مارِدة[2] ، وما ولاها مِن جوانِبِ الجوف[3] ، ثم ولّاه قضاء الثّغور[4] الشّرقِيّة ، وجعله فيها قاضِي القضاة ، وأمِينًا على العمّال وعينًا » . تمّ ما ذكره ابن حارِثٍ في « تارِيخِه » .

ومِن غيرِه[5] : « أنّه ولِّي الشّورى ، فشاوره ابن أبي عيسى القاضِي[6] ، وسائِر الحكّام في وقتِه » .

وقد رأيت له فتيا في مسألةٍ ، قيل في « أحكامِ ابن أبي زيدٍ[7] » صاحِبِ

---

(١) جمْع : « كوراتٍ ، وكور » . وهي المدِينة ، وكلّ بقْعةٍ تجْتمِع فيها المساكِن والقرى ، كما تطْلق على المقاطعة الرِّيفِيّة . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٢/ ٨١٠/ مادة : ك ور] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ١٩٧٠] . و« معجم الغني » [مادة : ك ور] .

(٢) هي أكْبر المدن في الأنْدلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٥/ ٣٨] . و« صفة جزيرة الأندلس » للحميري [ص/ ١٧٥] .

(٣) الجوْف: هي ناحِية أكْشونِية -بِفتْحِ الهمْزة ، وسكونِ الكاف، وضمِّ الشِّين المعْجمة ، وسكونِ الواو ، وكسْرِ النّونِ، وياءٍ خفِيفةٍ- غرْبِيّ قرْطبة بالأنْدلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [١/ ٢٤٠] . و« تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٢٣/ ١٠٧/ مادة : ج وف] .

(٤) الثّغور : هي الحصون . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٤/ ١٠٤/ مادة : ث غ ر] .

(٥) أيْ : مِن غيرِ « تارِيخِ ابن الحارِث » .

(٦) هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن يحيى بن كثِيرِ اللّيْثِيّ ، المعْروف بـ« ابن أبي عِيسى » القاضِي القرْطبِيّ ، المتوفّى سنة : (٣٣٩ هـ) . ينظر ترجمته في : « ترتيب المدارك » للقاضي عياض [٦/ ٩٦] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٧/ ٧٣٠] .

(٧) لعلّه : عبد اللهِ بن محمّدِ بن محمّدِ بن عبْدِ الرّحْمن بن إِبْراهِيم بن عِيسى بن أبي زيْدٍ : مِن أهْلِ قرْطبة ، ويكنّى : أبا محمّدٍ . فقد جاء في ترْجمتِهِ : أنّ محمّد بن عبْدِ اللهِ بن=

الرّدّ[1] ، قال في آخرها : « قال بذلك منذر بن سعيد » . لم يحضرني حفظ المسألة ، لأنصّ جوابه .

[بيان إمامته بجامع الزّهراء بقرطبة]

ثم ولّي الصّلاة بجامعِ الزّهراء ، وكان أوّل خطيبٍ خطب فيه ، ثم ولّي قضاء الجماعة بعد ابن أبي عيسىٰ في التّاريخ الذي تقدّم ذِكره ، وبقي على الصّلاةِ في الزّهراء حتىٰ توفّي .

ولمّا تمّتِ الزّيادة التي بناها المستنصِر بِجامعِ قرطبة : أمر بالصّلاة فيه والخطبة ، وأن يذكر أمر الزّيادة ، فكان أوّل من خطب في تلك بالزّيادة الجدِيدة ، وعند المِنبر الجدِيد . وسيأتِي فضله الذي ذكِر فيه الزّيادة في خطبتِه في موضِعِه مِن هذا الكِتاب إن شاء الله تعالىٰ .

ترجمته من طبقات الزّبيدي

قال أبو عمر : ورأيت في كِتابِ « طبقاتِ النّحويِّين مِن جميعِ الأمصار »[2] ، الذي ألّفه محمّد بن حسنٍ الزّبيدِيّ ، فذكر منذِر بن سعِيدٍ :

= أبي عِيسىٰ كان يشاوِره مِن أجْلِ أبيهِ ، وكان قليل العِلْم جِدًّا . وأبوه هذا هو : أبو الولِيد محمّد بن محمّد بن أبي زيْدٍ ، ولّي خطّة الرّدّ ، وكان قلِيل العِلْم كابْنِهِ ، توفّي سنة : (٣٣٣هـ) . ينظر : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ٢٧٤] ، و[٢/ ٥٦] . و« ترتيب المدارك » للقاضي عياض [٤/ ٢٥٨] .

(١) أي : صاحِب خطّة الرّدّ . وهو منْصِبٌ قضائي كان يتولّاه العلماء بالأندلس في القرن الثالث والرابع الهجري . وهو بمثابة محْكمة النقْض في الأنْظِمة المعاصِرة . حيث كان والِي الرّدّ تزفع إليه القضايا التي حكِم فيها لينْظر صلاحيتها للنقْض أو الإبرام . ينظر : « المدرسة المالكية الأندلسية » لمصطفىٰ الهروس [ص/ ٢١١ـ ٢١٣] .

(٢) [ص/ ٢٩٥/ ترجمة : ٢٦٢] .

، يكنى أبا الحكم ، كان متفننًا[1] في ضروبِ العلم ، وكانت له رحلةٌ لقي فيها جماعةً مِن علماءِ اللّغة والفقه ، وجلب كتابًا في اختلافِ العلماء ، رواه عن مؤلِّفه محمّدِ بن منذرِ النّيسابوريّ ، وهو يسمّى : « كتاب الإشراف »[2] ، وكتاب « العين »[3] ، رِوايةً عن أبي العبّاس ابن ولّاد[4] .

بيان مذهبه وبما كان يفتي النّاس به

وكان يتفقّه بِفقهِ أبي سليمان داود القِياسيّ[5] الأصبهانِيّ ، ويؤثِر مذهبه ، ويحتجّ لِمقالتِه ، وكان جامِعًا لِكتبِه ، فإذا جلس مجلِس الحكمِ ؛ قضى بِمذهبِ مالِكٍ[6] .

الثّناء عليه وذكر بعض تصانيفه

وكان ذا عِلمٍ بالقرآن ، حافِظًا لِما قالتِ العلماء في تفسِيرِه ، وأحكامِه ، ووجوهِهِ ، في حلالِه وحرامِه ، كثِير التّلاوةِ له ، حاضِر الشّاهِدِ بِآياتِه ، وله فيه

---

(١) عند الزّبيْدِيّ : « متفنِّنًا » .

(٢) أي : « الإشْراف على مذاهِبِ العلماء » لأبي بكْرٍ محمّدِ بن إِبْراهِيم بن المنْذِر النّيْسابورِيّ ، المتوفّى سنة : (٣١٩هـ) .

(٣) أي : « كتاب العيْن » لأبي عبد الرّحْمن الخلِيل بن أحْمد الفراهِيدِيّ ، المتوفّى سنة : (١٧٠هـ) .

(٤) وقد سمِعه مِن ابنِ ولّاد بِمِصْر ، كما في « تاريخ علماء الأندلس » للفرضي [٢/ ١٤٢] . و« بغية الملتمس » للضبي [ص/ ٤٦٦] . وابن ولّاد هو : أبو العبّاس أحْمد بن محمّدِ بن الوليد التّمِيمِيّ المِصْرِيّ النّحْوِيّ ، المعْروف بـ« ابن ولّاد » ، المتوفّى سنة : (٣٣٢ هـ) . ينظر ترجمته في : « طبقات النحويين واللغويين » الزّبيْدي [ص/ ٢١٩ـ ٢٢٠] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٧/ ٦٥٨] .

(٥) لكثرة إنكارِه للقياس في الشريعة .

(٦) لذيعان القضاء بمذهب مالك في تلك الأزمان والبِقاع ؛ ولا يخالفه انتصار صاحب الترجمة لمذهب داود في الجملة .

كتبٌ جيِّدة ؛ منها : « الأحكام » ، وكِتاب « النّاسِخ والمنسوخ » [ق/١٥١/ظ] ، إلىٰ سائِرِ مؤلّفاتِه في الفِقه ، والرّدُّ علىٰ أهلِ المذاهِب .

وكان ذا عِلمٍ بالجدل ، حاذِقًا فيه ، شدِيد العارِضة[١] ، حاضِر الجواب ، ثابِت الحجّة .

براعته في الخطابة وشيء من أوصافه وشمائله

وكان أخطب أهلِ زمانِه غير مدافعٍ ، مع ثباتِ جنانٍ[٢] ، وجهارةِ صوتٍ ، وحسنِ ترسّلٍ[٣] .

وكان ذا منظرٍ نبيلٍ ، وخلقٍ جمِيلٍ ، وتواضعٍ لِأهلِ الطّلبِ ، وانحِطاطٍ إليهم ، وإقبالٍ عليهم .

وكانت فيه دعابةٌ حسنةٌ ، وله خطبٌ[٤] عجِيبةٌ ، ورسائِل بلِيغةٌ ، وأشعارٌ مطبوعةٌ[٥] .

ارتجاله بخطبة عجيبة بين يدي الخليفة النّاصر

وقام بين يدي أمِيرِ المؤمِنين النّاصِر لِدِينِ اللهِ[٦] رحمهُ اللهُ عند دخولِ رسلِ

---

(١) يقال : فلان شديد العارِضة ؛ إذا كان ذا جلدٍ وقوة وقدرة علىٰ الكلام وغيره . ينظر : « شمس العلوم » للحِميري [٧/ ٤٤٦٩] .

(٢) المراد بالجنان هنا : القلْب . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ١١١/ مادة: ج ن ن].

(٣) التّرسّل في الكلام : التّمهّل فيه والتّؤدة . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٢٦/ مادة : ر س ل] .

(٤) في الأصل : « خطْبةٌ » ! والتصويب من « طبقات النحويين » لِلزّبيدِيِّ .

(٥) أي : كلامٌ عليه طابع الفصاحة ، سهْلٌ يجْمع البلاغة والعذوبة . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [٢١/ ٤٤٥/ مادة : ط ب ع] .

(٦) هو : النّاصِر لدين اللهِ عبد الرّحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام =

طاغيةِ الرّوم عليه ، والمجلس محتفِلٌ بأهلِ الخدمة ، وهم قيامٌ على أقدامِهم ، فارتجل خطبةً عجيبةً ، ذكر فيها حقّ الخلافةِ ، وفرض الطّاعةِ ، ووصلها بهذه الأبياتِ . . » . وذكر[1] الأبيات بتمامِها . تمّ ما ذكره به الزّبيديّ في كتابه من « الطّبقات » .

وسأكتب في هذا الكِتاب الخطبة والشِّعر بتمامِها في موضِعِها إن شاء الله إذا فرغنا بما جرىٰ مِن ذِكرِه في كتبِ أصحابِ التّوارِيخ .

ونذكر فيه أيضًا : فصولًا أدخلها خطبه[2] ، لِأسبابٍ أوجبت ذلك ، ليست تجرِي مجرىٰ خطبِ الجمع ؛ إذ هي في غير معناها .

ونذكر مِن بلِيغِ رسائِلِه : ما حضرنا إن شاء الله تعالىٰ .

ترجمته من تاريخ الرّازي

ما ذكره به : أحمد بن محمّدِ بن موسىٰ بن بشِيرٍ الرّازِيّ[3] في « تارِيخِه »[4] ، الذي كان يؤلِّف لِأمِيرِ المؤمِنِين النّاصِرِ ، أمور الدّولة وأخبارها ، ثم المستنصِرِ بعده ـ رِضوان اللهِ عليهما ـ .

= الأمويّ أمِيْر المؤْمِنِيْن بالأنْدلس ، توفّي سنة : (٣٥٠هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ١٣ـ ١٤] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٧/ ٨٩١] .

(١) أيْ : الزّبيْدِيّ رحمهُ اللهُ .

(٢) في الأصل : « خطبها » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) هو : أبو بكْرٍ أحْمد بن محمّدِ بن موسىٰ بن بشِيرٍ الرّازِيّ الكِنانِيّ القرْطبِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٤٤هـ) . ينظر ترجمته في : « بغية الملتمس » للضبي [ص/ ١٥١] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٧/ ٧٩٧] .

(٤) لم يصِلْ إلينا . وقد ذكر مترْجِموه أنّه رحمهُ اللهُ وضع عِدة كتبٍ في تارِيخِ الأنْدلس ورِجالِهِ ومعالِمِهِ . ينظر : « جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ١٠٤] . و« معجم الأدباء » لياقوت الحموي [١/ ٤٧٣] .

تقييد وفاته وعمره وشيء من أحواله

قال أبو عمر: رأيت في «تاريخ الرّازيّ»: توفّي القاضي منذر بن سعيد بن عبد الله البلّوطيّ - ويكنّىٰ: أبا الحكم -: يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة، سنة خمسٍ وخمسين وثلاثِ مئةٍ، وهو ابن اثنين وثمانين سنةً وسبعةِ أشهرٍ، وولّي القضاء يوم الخميس، لخمسٍ خلون من ربيعٍ الآخر، سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مئةٍ، وكان فقيهًا عالمًا، فصيحًا خطيبًا، لم يسمع بالأندلس أخطب منه.

وكان أعلم النّاس - ببلدنا - باختلافِ العلماء، شاعرًا لبيبًا أديبًا ديّنًا، لم يجرّب عليه أمرٌ يكره.

تفصيل مذهبه الفقهي وبعض مسموعاته ومشيخته

وكان مذهبه النّظر والجدل، يميل إلىٰ مذهبِ داود بن عليّ بن خلفٍ الأصبهانيّ، وكانت له رحلةٌ حجّ فيها، ولقي ابن المنذرِ النّيسابوريّ، ، أخذ عنه كتاب: «الإشراف علىٰ الاختلاف»، وأخذ عن ابنِ الولّاد بمصر: «كتاب العين» للخليل بن أحمد، وأخذ عن ابنِ النّحّاس[1] وغيرِه من أهلِ العلم ضروبًا من العلم. ولقي بقرطبة عبيد الله بن يحيىٰ بن أبي عيسىٰ[2]،

---

(١) هو: أبو جعْفرٍ أحْمد بن محمّد بن إسْماعيل النّحّاس المراديّ المصْريّ، المتوفّىٰ سنة: (٣٣٨هـ). ينظر ترجمته: «إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة» للقفطي [١/ ١٣٦ـ ١٣٩]. و«تاريخ الإسلام» للذهبي [٧/ ٧١٣].

(٢) هو عبيْد الله بْن يحيىٰ بْن يحيىٰ بْن أبي عيسىٰ اللّيْثيّ أبو مروان مولاهم الأندلسيّ القرْطبيّ الفقيه. المتوفّىٰ سنة: (٢٩٧هـ). ينظر: «جذوة المقتبس» للحميدي [ص/ ٢٦٨].

ومحمّد بن قاسمٍ[1] ، ومحمّد بن عمر بن لبابة[2] ، وغيرهم من رجالِ الأندلس .

سياق تصانيفه في علوم الشريعة

وله أوضاعٌ كثيرةٌ منها : كِتابه في « شرحِ غريبِ القرآن ومعانِيه وأحكامِه ، واختِلاف العلماء في حلالِه وحرامِه » .

وكِتاب : « الإنباه على استِنباطِ الأحكام مِن كِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ » .

وكِتاب : « الإبانة عن حقائِقِ أصولِ الدِّيانة » .

وكِتاب : « النّاسِخ والمنسوخ في القرآن » .

واختصر كِتاب : « شرح معانِي الآثار ـ للطّحاوِيِّ ـ مِن أحادِيثِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلَّم » .

وكِتاب : « التّبيين عن مِثالِ اليقِين »[3] .

---

(١) لعله محمّد بن قاسمِ بنِ محمّدِ بنِ قاسمِ بنِ محمّدِ بنِ سيّارِ الأمويّ مولاهم القرْطبِيّ البيّانِيّ . المتوفىٰ سنة : ٣٢٧هـ أو ٣٢٨هـ . ينظر ترجمته في : « جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ٨٧] . و« سير أعلام النبلاء » للذهبي [١٥/ ٢٥٤] .

(٢) هو : أبو عبد الله محمّد بن عمر بن لبابة القرْطبِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣١٤هـ) . ينظر ترجمته في : « بغية الملتمس » للضبي [ص/ ١١٢] . و« شجرة النور الزكية » لابن مخلوف [١/ ١٢٩] .

(٣) له نسْخة خطِّيّة في مكْتبةِ دارِ الكتبِ المِصْريّة [رقم/ ٧٧٦/ طلعت] . وتقع في (٥٩) لوحة . وأخْرىٰ في المكْتبة الأزْهرِيّة برقم : [٤٢٨٤٨/ العروسي] . وهي ضمن مجْموع رقمها فيه : (٢١) . وتقع في (٢٦) لوحة . وقد نفىٰ نِسْبة هذا الكِتابِ ـ أيْ : محْتوىٰ النّصِّ المخْطوط منه ، وليس العنْوان ـ للمؤلف : الأستاذ عبد الرّحْمن السِّجِلْماسِيّ في كتابه : « الإمام منذر بن سعيد البلوطي وتحقيق رسالتين له » [ص/ ٩٥ـ ٦٠] . وقد بيّن بالدّلِيل ما يثْبِت أنّ محْتوىٰ نصِّ نسْخةِ دارِ الكتبِ المِصْريّة منْحولٌ علىٰ البلّوطِيِّ =

وكتاب : « الإفصاح عمّا غلط فيه محمد ابن الخرّاز[1] القرويّ » ، و« الجبر[2] والاستطاعة » ، وغير ذلك .

وكتاب : « ردّ فيه على أبي عمر[3] بن حدير[4] في التّشبيه وخلقِ القرآن » ، وغير ذلك .

وكتاب : « ردّ فيه على محمّدِ بن عبد الرّءوف [ق/ ١٥٢/ و] الكاتِب[5] في وجوبِ الكفّارة » ، وغير ذلك .

= رحمهُ اللهُ . قلتُ : ونِسْبة هذا الكتاب ثابِتةٌ إلى البلّوطِيّ رحمهُ اللهُ ، كما قيّده ابن عبد البرّ هنا ، وسيذْكر ابن عبد البرّ في موْضِعٍ آخر مِن هذا الكِتاب : سبب تأْلِيفِ البلّوطِيّ له ، وقِراءتِهِ له ـ بعد تأْلِيفه ـ على أهْلِ بيْتِهِ يوْم الخمِيس مِن كلِّ أسْبوعٍ . وكذا نسبه إلى البلّوطِيّ : ابن عساكِر ، وأفاد أنّ ابْنه أبا العاصِ الحكم بن منْذِرِ بن سعِيدٍ البلّوطِيّ كان يجيز به عن أبِيهِ رحمهُ اللهُ . ينظر : « تاريخ دمشق » لابن عساكر [٦١/ ٢٣١] .

(١) لم يعْجِم الناسخ حرْف الزاي ! والظاهر أنه : محمد بن أحمد بن محمد الفارِسيّ القروِيّ أبو عبد الله المعروف بابن الخرّاز . المتوفى سنة : (٣٥٩هـ) . ينظر : « تراجم علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/ ١١٤] . و« الأنساب » للسمعاني [٢/ ١٨٧] .

(٢) لم يعْجِم الناسخ حرف الجيم !

(٣) في الأصل : « عمْرو » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) الظاهر أنه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حديْر بن سالم الشاعر الأديب الأندلسي صاحب كتاب : « العقْد الفريد » . المتوفى سنة : (٣٢٨هـ) . ينظر : « تراجم علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ٤٩ـ ٥٠] . و« جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ١٠١]

(٥) الظاهر أنه : أبو عبد الله محمد بن عبد الرّءوف بن محمد بن عبد الحميد الأزْدي القرْطبِي الأديب الشاعر . المتوفى سنة : ٣٤٣هـ . ينظر : « طبقات النحويين واللغويين » للزّبيْدِي [ص/ ٣٠٩] .

وكِتابٌ : « ردّ فيه علىٰ أبي عبيدة[1] في المجاز[2] ، ومن قال بِقولِه » .

وكِتابٌ : « ردّ فيه علىٰ ابن عبدِ البرِّ الكشكِينانِيِّ[3] ، في مسألةِ جنّةِ الخلدِ »[4] ، وغير ذلك .

وله : « الزّجر[5] » ، الذي ردّ فيه علىٰ الافتِراق بين أهلِ المِلل .

وله كِتاب : « التّحصِيل لِما غلِط فيه بكرٌ[6] مِن التّأوِيل » .

---

(١) في الأصل : « أبي عمرة » ! ولا نراه إلا تحريفًا ، والصواب ما أثبتناه . والمراد به : الإمام الكبير : أبو عبيدة معْمر بن المثنّىٰ التيمي البصري المتوفىٰ سنة : ٢٠٩هـ . صاحب كتاب : « مجاز القرآن » .

(٢) أي : في إثباتِه المجاز في القرآن ، فقد حكىٰ ابن القيم : « أن منْذِر بن سعِيدِ البلّوطِيّ صنّف في نفْيِ المجاز في القرآنِ مصنّفًا » . وسبقه إلىٰ ذلك شيخه ابن تيمية أيضًا . ينظر : « مجموع الفتاوي » لابن تيمية [٧/ ٨٩] . و« مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة » لابن القيم [ص/ ٢٨٧] .

(٣) في الأصْل : « الكشكشانِيّ » . بكافين وشينين ! والصواب ما أثبتناه ، وهو نِسْبةٌ إلىٰ قرْيةِ : « كشْكِينان » ، مِن قنْبانِيّة قرْطبة ، وإليها ينْسب أبو عبد الله محمّد بن عبد الله ابن عبد البرّ القنْبانِيّ ، المعْروف بـ : « الكشْكِينانِيِّ » ، المتوفّىٰ سنة : (٣٤١هـ) . ينظر ترجمته في « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/ ٦٣] . و« بغية الملتمس » للضبي [ص/ ٨٩ ـ ٩٠] . و« المقفىٰ الكبير » للمقريزي [٦/ ٦٠] . وينظر أيضًا : « معجم البلدان » [٤/ ٤٠٢ ، ٤٦٣] ، و« اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار » للرّشاطي [ص/ ٢٠ ، ٣٣] . وقد تحرّفتْ هذه النسبة في عِدّة مصادر بألوان مختلفة .

(٤) لعلّه الكِتاب الذي وصفه ابن كثِيرٍ رحمهُ اللهُ بقوله في ترجمة البلّوطِي : « وله مصنّفاتٌ واخْتِياراتٌ ، منها : أنّ الجنّة التي سكنها آدم وأهْبِط منها كانتْ في الأرض ، وليْستْ بالجنّة التي أعدّها الله لِعِبادِهِ في الآخِرة ، وله في ذلك مصنّفٌ مفْردٌ ، له وقْعٌ في النّفوس ، وعليه حلاوةٌ وطلاوة » . ينظر : « البداية والنهاية » لابن كثير [١١/ ٣٢٧] .

(٥) كذا رسمها الناسخ .

(٦) لم نفْطن له .

وكِتاب : « التّنبِيه علىٰ غلطِ أهلِ التّموِيه » .

وكِتاب : « الرّدّ علىٰ من قال في دِينِ اللهِ بِرأيِه ، وألحد في صِفاتِه وأسمائِه » . تمّ ما ذكره به الرّازِيّ .

ترجمته من كتاب الأنيق

قال أبو عمر : وكتبت مِن كِتابِ محمّدِ بن مسعودٍ النّحوِيّ[1] ـ الذي ألّفه في شِعرِ الأندلس ، وسمّاه : « الأنِيق »[2] . ما ذكر به[3] : منذِر بن سعِيدٍ ، قال محمّد بن مسعودٍ :

« قاضِي الجماعة منذِر بن سعِيدِ بن عبد الله ، وكان واحِد عصرِه ، وفرِيد دهرِه : عِلمًا ، وفهمًا ، وخطابةً ، ونقاءةً ، ودهاءً ، وذكاءً ، ومعرِفةً بِتأوِيلِ التّنزِيل ، وحدِيثِ الرّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وكان شاعِرًا . . .[4] ، وفطِينًا ألمعِيًّا[5] ، محاجًّا جدلِيًّا ، متصرِّفًا في فنونِ العِلم والآداب ، وبصِيرًا بِلغاتِ الإعراب ، وله أوضاعٌ جمّةٌ كثِيرة ، وفي النّاس معروفةٌ شهِيرة .

---

(١) لعله : أبو عبد الله محمد بن مسْعود القرْطبي الخطِيب النحْوِي الشاعر الأديب . المتوفىٰ سنة : (٣٧٩هـ) . ينظر ترجمته في : « تراجم علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/ ٩٣] .

(٢) هو فيما يبْدو في تراجم شعراء الأندلس ، وقد نقل عنه : ابن بشكوال في « الصلة في تاريخ أئمة الأندلس » [ص/ ٦٥٤] .

(٣) في الأصل : « ذكره به » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) هنا مقدار كلمة لم تتضِح لنا .

(٥) هكذا قرأناه ، ولم يعْجِم الناسخ بعض الحروف علىٰ عادته .

فمن أحبَّ أن يقِف علىٰ حقِيقةِ فهمِ الرّجل ومكانِه مِن العِلم ؛ فليطالِعها ، فإنّه يرىٰ حقائِق عِلمِه ، ويعلم مِقدار معرِفتِه وفهمِه .

بيان براعته في الشعر والنثر والخطابة

وله خطبٌ شرِيفة سوِيّة ، جمعت جزالة الأعرابِيّة ، وفخامة البدوِيّة ، وحلاوة الحضرِيّة ، قرِيبةٌ ثابِتة عالِية .

وله أشعارٌ مطبوعة سنِيّة ، صحِيحةٌ نقِيّة ، وحظّه مِن الخطابة أوفر مِن حظّه في الشِّعر وأجزل ؛ لأنّه كان إلىٰ الخطابة أميل ، غير أنّه كان مجوِّدًا في الأمرينِ ، ومحسِّنًا في الفنّينِ ، وقلّ من يحسِّنهما ويجوِّد فيهما ، ولولا أنّا لم نقصِد بِكِتابِنا هذا إلّا مقصِد الأشعارِ ؛ لأحلينا مِن خطبِه ما يدلّ علىٰ ما ذكرناه عنه مِن الاقتِدار والاتِّساع ، وهي بِأيدِي النّاس كثِيرةٌ ، وفيهم مشهورةٌ ، وعلىٰ ألسِنتِهِم مذكورةٌ ، فمن أراد الوقوف علىٰ حقِيقةِ ما ذكرناه ؛ فليتصفّح شيئًا منها ، فإنّه يرىٰ مِن ذلك ما يورِه أمواهه[1] ، ويروقه إن شاء الله .

ولِتمامِ عِلمِ منذِرٍ وكمالِه ، وبراعةِ خِلالِه ، وفصاحتِه ، وخطابتِه : ولّاه أمِير المؤمِنِين النّاصِر رحمهُ اللهُ قضاء الجماعةِ بِقرطبة . وقبل ذلك ما كان ولّاه قضاء فحصِ البلّوط[2] ، والجوف[3] ، وكان مشاورًا مع الفقهاء أيّام ابن

---

(١) في الأصل : « مواه » . ولم نهتدِ لمعناها ، ولعل الصواب ما أثبتناه . والأمْواه : جمْع ماء . ويورِه : بمعىٰ يكْثِر ويزيد . يقال : ورهتِ السّحابة ؛ إذا كثر مطرها . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٣/ ٥٦٠/ مادة : ورِه] .

(٢) فحْص البلّوط : ناحِيةٌ بالأنْدلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [١/ ٤٩٢] . و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري [ص/ ٤٣٥-٤٣٦] .

(٣) الجوْف : ناحِية أكْشونِية غرْبِيّ قرْطبة بالأنْدلس . وقد تقدّم التّعْرِيف بها .

أبي عِيسىٰ القاضِي[1] ، ثم ولّاه قضاء جمِيعِ الثّغور الشّرقِيّة ، ثم الصّلاة بِمدِينةِ الزّهراء ، ثم قضاء الجماعة علىٰ ما تقدّم ذِكره .

فلمّا توفّىٰ النّاصِر رحمهُ اللهُ تعالىٰ : أقرّه المستنصِر علىٰ قضاءِ الجماعة ، عِلمًا بِرجاحتِه ، وفصاحتِه ، وخطابتِه » .

ثم نقل[2] أشعاره التي اختار مِن قولِه ، مِمّا خاطب به النّاصِر والمستنصِر ، وأشعاره في الزّهد ، ومراثِيه في إخوانِه .

وذكر له أبياتًا خاطب بها ابن شهيدٍ ذا الوِزارتينِ[3] ، سأذكرها في هذا الكِتاب ، مع الحِكايات التي حدِّثت بها عنه إن شاء الله .

فهذا ما وقع إليّ مِمّا ذكره به أصحاب التّوارِيخ بالأندلس ، وقد ذكره غير من ذكرت مِمّن لم يقع إليّ ما ذكره به ، وأصحاب هذا الشّأن قلِيلٌ بِبلدِنا .

---

(١) هو أبو عبْد الله محمّد بن عبْد الله بن أيّوب بن أبي عِيسىٰ القاضي . ويقال له اختصارًا : محمد بن أبي عيسىٰ ، وهو مِن بنِي يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي ، ولِي القضاء أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد ، وأدرك عهْد الخليفة الناصر ، وأصبح قاضِي الجماعة بقرطبة سنة : ٣٢٦هـ . وقد توفّىٰ سنة : (٣٣٩هـ) . ينظر : « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » للثعالبي [٢/ ٧٢] . و« جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ٧٤] و« نفح الطيب » للمقري [٢/ ١٢] .

(٢) أي : صاحِب كِتابِ « الأنِيق » ، الذي ينْقل عنه المؤلِّف .

(٣) هو الوزير أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بْن عِيسىٰ بن شهيْد القرطبي . كان وزيرًا أيام الخليفة الناصر ، ووِلي له الولايات . وهو أول من تلقّب بذي الوِزارتيْنِ . ويختلط أحيانًا بحفيده أبي عامر الشّهيْدِي صاحب كتاب : « التوابع والزوابع » . واسمه أيضًا : أحمد بن عبد الملك . ينظر : « الحلة السيراء » لابن الأبار [١/ ٢٣٧] . و« جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ١٣١] .

الخطبة التي خطب بها بين يدي أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر، في دخول وفد الروم عليه، والشعران الموصلان بها

قال القاضي : « أيّها الملأ ، إنّ أحقّ ما افتتح به المقال ، واستنجح به السّؤال : حمد اللهِ[1] [ق/١٥٢/ظ] الذي جعله فاتِحة كِتابِه ، وخاتِمة أولِيائِه في دارِ السّلام ، فالحمد لله الذي علا فقهر ، وبطن فظهر ، وملك فقدر ، يؤتي الملك من يشاء ، ويذِلّ من يشاء ، بِيدِه الخير وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدِير ، أحمده علىٰ حوادِثِ نعمائِه ، وسالِفِ آلائِه ، وصلّىٰ الله علىٰ محمّدٍ وعلىٰ جمِيعِ أنبِيائِه ، بعثه في خيرِ أمّةٍ أخرِجت للنّاس ، وأنقذ به مِن ظلمةِ الحيرةِ والالتِباس ، بشِيرِ رحمتِه وثوابِه ، ونذِيرِ نِقمتِه وعِقابِه ، وأمِينِ وحيِهِ وكِتابِه .

ثم بعد حمدِ اللهِ والثّناءِ عليه : فلِكلِّ حادِثةٍ مقام ، ولِكلِّ مقامٍ مقال ، وليس بعد الحقِّ إلّا الضّلال ، وإنِّي قد كنت في مقامٍ كرِيم ، بين يدي ملِكٍ عظِيم ، فاصغوا إليّ بأسماعِكم ، والقنوا[2] عنِّي بأفهامِكم .

معاشِر الملإِ ، إنّ الصِّدق مسموع ، وإنّ الحقّ متبوع ، وإنّ مِن الحقِّ أن يقال للمحِقِّ : صدقت ، وللمبطِلِ : كذبت .

وإنّ الجلِيل ـ تعالىٰ في سمائِه ، وتقدّس بِصِفاتِه وأسمائِه ـ أمر موسىٰ

---

(١) في الأصل : « بحمد الله » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) يقال : لقِن منه الكلام . أيْ : أخذه مِن لفْظِه وفهِمه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/٥٥٨/ مادة : ل ق ن] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢٠٢٩/٣] .

ـ صلوات الله وعلىٰ جميعِ أنبيائه ـ أن يذكّر بأيّام الله عندهم ، وفي رسولِ الله أسوةٌ حسنة ، وأنا أذكّركم ـ بأيّام اللهِ عِندكم ـ بِخلافةِ أميرِ المؤمِنين بعد أن كنتم قليلًا فكثّركم ، ومستضعفِين فنصركم ، فولّاه الله حِفظكم ، وأسند إليه أمركم ، وقد ضربتِ الفِتنة سرادِقها[١] علىٰ الآفاق ، وأحاطت بِكم شعب[٢] النّفاق ، حتىٰ صِرتم في مِثلِ حدقةِ البعِير[٣] ، مِن ضِيقِ الحال ونكدِ العيش والتّقتِير ، فاستبدلتم بِبركةِ إمامتِه مِن الشِّدّة : الرّخاء ، وانتقلتم بِسعادة[٤] بيعتِه وبِأمنِ خِلافتِه إلىٰ معادِ العاقِبة بعد استِبطانِ[٥] البلاء .

ناشدتكم الله معاشِر الملإِ ، ألم تكنِ الدِّماء مسفوكةً فحقنها ؟ والسّبل مخوفةً فأمّنها ؟ والأموال منتهبةً فأحرزها[٦] وحصّنها ؟

---

(١) هو كلّ ما أحاط بشيءٍ مِن حائطٍ ونحوه . وهو هنا كِنايةٌ عن المخاطِر والأهْوال . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيّ [٢٥/ ٤٤١/ مادة : س ر د ق] .

(٢) كذا بالأصْل : « شعب » . وفي « معجم الأدباء » [٦/٢٧١٨] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/٦٧] . و« سير أعلام النبلاء » [١٦/١٧٨] . و« نفح الطيب » [١/٣٦٩] ، وغيرها : « شعل » .

(٣) الحدقة : هي السّواد المحيط بِوسطِ العيْن . وهو مثلٌ يضْرب لِمن هو في خصْبٍ ونعْمةٍ ، وذلك أنّ حدقة البعِيرِ أخْصب ما فيه ؛ لِأنّ بها يعْرِفون مِقْدار سِمنِها . ينظر : « جمع الأمثال » للميداني [٢/ ٣٨٥]. و« لسان العرب » لابن منظور [١٠/ ٣٨/ مادة: ح د ق].

(٤) في الأصل : كلمة غير واضحة . ولعل الصواب ما أثبتناه . وجاء في المصادِر : « وانْتقلْتم بيمْنِ سِياستِه إلىٰ تمهيد كنف العافِية » . ينظر : « مطمح الأنفس » [ص/ ٢٤١] . و« معجم الأدباء » [٦/٢٧١٨] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/ ٦٧] ، وغيرها .

(٥) في المصادِر السّالِف ذِكْرها : « اسْتِيطان » .

(٦) أي : حفِظها . يقال : حرزه حرْزًا . أيْ : حفِظه وجعله في حِرْزٍ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [١٥/ ١٠١/ مادة : ح ر ز] .

ألم تكنِ البِلاد غامِرةً[1] فعمّرها ؟ وثغور المسلِمين مهتضمةً[2] فأيّدها ونصرها[3] ؟ فاذكروا آلاء اللهِ عليكم بِخِلافتِه ، وتلافيهِ[4] جمع كلِمتِكم بعد افتِراقِها بإمامتِه ، حتىٰ أذهب الله غيظكم ، وصِرتم يدًا علىٰ غيرِكم[5] بعد أن كان بأسكم بينكم .

ناشدتكم الله ، ألم تكن خِلافة أمِيرِ المؤمِنِين قفل الفِتنة بعد انطِلاقِها مِن عِقالِها ؟ ألم يتألّف[6] صلاح الأمور بِنفسِهِ بعد اضطِرابِ أحوالِها ؟ ألم يطفِئ شعل النِّفاق في الآفاق بعد اشتِعالِها ؟ حتىٰ أقام الله به ألوِية[7] الهدىٰ بعد دروسِها[8] ، وأنار به أعلام الدِّين بعد طموسِها ، ووضعتِ الحرب أوزارها ،

---

(١) الغامِر : هو الخراب مِن الأرض . وقيل : هو ما لم يزْرعْ . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/٤٥٣/ مادة : غ م ر] . وجاء مكانها في المصادِر : « خرابًا » . ينظر : « مطمح الأنفس » [ص/٢٤١] . و« معجم الأدباء » [٦/٢٧١٩] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/٦٧] ، وغيرها .

(٢) أي : مظْلومة . يقال : رجلٌ هضِيمٌ ومهْتضمٌ . أيْ : مظْلومٌ . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٥/٢٠٥٩/ مادة : هـ ض م] .

(٣) في المصادِر : « فحماها ونصرها ؟ » . ينظر : « مطمح الأنفس » [ص/٢٤١] . و« معجم الأدباء » [٦/٢٧١٩] . و« نفح الطيب » [١/٣٦٩] ، وغيرها .

(٤) أيْ : تداركه . يقال : تلافىٰ الخطأ . أيْ : تداركه . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٦/ ٢٤٨٤/ مادة : ل ف ا] .

(٥) في المصادِر : « عدوِّكم » . ينظر : « معجم الأدباء » [٦/٢٧١٩] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/٦٧] ، و« نفح الطيب » [ص/٣٧٠] . وغيرها .

(٦) أي : يجْمع . يقال : ألّفْت بينهم تأْلِيفًا ؛ إذا جمعْت بينهم بعد تفرّقٍ . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٩/١٠/ مادة : ء ل ف] . وفي المصادِر السّالِف ذِكْرها : « يتلاف » .

(٧) أي : أعْلام . فاللِّواء : هو الرّاية والعلم . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٤/٢٧٩/ مادة : ل و ا] .

(٨) أيْ : ذهب أثرها وامّحىٰ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [١٦/ ٦٤/ مادة : د ر س] .

وولّت شياطين الإنس أدبارها ، ولزمت ضِرار الفِتنة أوكارها[1] ، وأمن السّابِل[2] ، وأقصر المتطاوِل ، واعتدل صغر[3] المائِل ، واستقام أود[4] الخائِل[5] ، وتأيّد الإسلام ، ونفذتِ الأحكام ، وانكشف الظّلام ، وتحرّست الثّغور[6] ، وانتظمتِ الأمور ، وعاد الحقّ جدِيدا ، ورحل الباطِل بعِيدا .

تولّىٰ ذلك بِعزمٍ مؤيّد ، وحزمٍ مسدّد ، ولم يكِل ذلك إلىٰ القوّاد والأجناد ؛ حتىٰ باشره بالمهجة والأولاد ، واعتزل النِّسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدّعة[7] وهي محبوبة ، وترك الرّاحة وهي مألوفة[8] بطوِيّةٍ خالِصة ، وبصِيرة نافِذة ، ورمحٍ غالِبة ، ونصرةٍ مِن اللهِ واجِبة ، وسلطانٍ قاهِر ، وحدٍّ ظافِر ، وسيفٍ منصور تحت عدلٍ مشهور ، ونفسٍ نفِيسةٍ ، وفِيّةٍ زكِيّة ، محتملًا

---

(١) أيْ : أماكِنها . وهو هنا مجازٌ ؛ فالوكْر والوكْن ـ جمِيعًا ـ : المكان الذي يدْخل فيه الطّائر . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيّ [١٤/ ٣٨٥/ مادة : وك ر] .

(٢) السّابِل والسّابِلة : جمْع : « سوابِل » . وهي الطّرِيق المسْلوك . ويطْلق أيضًا علىٰ المارِّين عليه ، وهم الجماعة المخْتلِفة في الطّرقات في حوائِجهم . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٦٥/ مادة : س ب ل] . و« المعجم الوسيط » [١/ ٤١٥] .

(٣) الصّغْر : الذلّ والضّيْم . ينظر : « الصحاح في اللغة » للْجوْهري [٢/ ٧١٣/ مادة : صغر] .

(٤) أيْ : اعْوِجاج . يقال : أوِد الشّيء يأْود أودًا ؛ إذا اعوجّ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيّ [٧/ ٣٩٤/ مادة : ء ود] .

(٥) أي : المتكبِّر المعْجب بِنفسِه . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيّ [٢٨/ ٤٥٤/ مادة : خ ي ل] .

(٦) الثّغور : هي الحصون . وقد تقدّم التّعْرِيف بذلك .

(٧) الدّعة : هي الرّاحة . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٦٥٣/ مادة : و د ع] .

(٨) في المصادر : « وترك الركون إلىٰ الراحة وهي مطلوبة . . . » . ينظر : « معجم الأدباء » [٦/ ٢٧١٩] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/ ٦٧] ، و« نفح الطيب » [ص/ ٣٧٠] . وغيرها .

للنّصب[1] ، مشتغِلًا[2] لِما ناله في جنبِ اللهِ مِن التّعب ؛ حتىٰ لانتِ الأحوال بعد شِدّتِها ، وانكسرت شوكة الفتنة بعد حِدّتِها [ق/١٥٣/و] ، فلم يبق لها غاربٌ[3] إلا جبّه[4] ، ولا نجم[5] لِأهلِ النِّفاقِ قرنٌ إلّا جدّه[6] ، فأصبحتم بِنعمةِ اللهِ إخوانا ، وبِلمِّ أمِيرِ المؤمِنِين ـ أطال الله بقاءه ـ شعثكم[7] علىٰ أعداءِ اللهِ أعوانا ، حتىٰ تواترتِ[8] الفتوحات ، وفتح الله عليكم بِخِلافتِهِ أبواب البركات ، وجاءت وفود الرّوم وارِدةً عليه ، وآمال الأقصين[9] والأدنين وافِدةٌ إليه ، يأتون مِن كلِّ فجٍّ عمِيق ، وبلدٍ سحِيق[10] ؛ لِيقضِي الله أمرًا كان مفعولًا ، ولن يخلِف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده .

وتلك أسبابٌ ظاهِرة ، تدلّ علىٰ أمورٍ باطِنة ، دلِيلها قائِم ، وغيبها

(١) أي : التّعب . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [١/ ٢٢٥/ مادة : ن ص ب] .

(٢) في بعض المصادر : « مستقِلًا » . وفي بعضِها : « متحمِّلًا » . ينظر : « معجم الأدباء » [٢٧١٩/٦] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/٦٧] ، و« نفح الطيب » [ص/ ٣٧٠] . وغيرها .

(٣) الغارِب : هو الكاهِل ، وما بين الظّهْر والعنق . وقيل : غارِب كلِّ شيءٍ أعْلاه . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١/ ٦٤٤/ مادة : غ ب ر] .

(٤) أي : قطعه . فالجبّ : هو القطْع . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [١/ ٤٢٣/ مادة : ج ب ب] .

(٥) أي : ظهر وطلع . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٥/ ٢٠٣٩/ مادة : ن ج م] .

(٦) أي : قطعه . فالجدّ : هو القطْع . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [١/ ٤٠٦/ مادة : ج د د] .

(٧) أيْ : جمع أمْركم . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٣١٤/ مادة : ش ع ث] .

(٨) أي : توالتْ وتتابعتْ. ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٦٤٧/ مادة : وت ر] .

(٩) في الأصل : « القاصين » . والمثْبت : من « معجم الأدباء » [٢٧١٩/٦] . و« تاريخ قضاة الأندلس » [ص/ ٦٧] ، و« نفح الطيب » [ص/ ٣٧٠] . وغيرها .

(١٠)أي : بعِيدٍ . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٦٨/ مادة : س ح ق] .

عاتِم[1] ، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] . وليس في تصدِيقِ ما وعد الله ارتِياب ، ولِكلِّ نبإٍ مستقرٌّ ولِكلِّ أجلٍ كِتاب .

واحمدوا الله أيّها النّاس علىٰ آلائِه ، وسلوه المزِيد مِن نعمائِه ، فقد أصبحتم بِيمنِ[2] خِلافةِ أمِيرِ المؤمِنِين ـ أيّده الله بالعِصمة ، والسّداد ، والهِمّة بِحاضِرِ[3] التّوفِيق إلىٰ سبِيلِ الرّشاد ـ أحسن النّاس حالا ، وأنعمهم بالا ، وأعزّهم قرارا ، وأمنعهم دارا ، وأكثفهم[4] جمعا ، وأجملهم صنعا ، لا تهاجون[5] ولا تراعون[6] ، وأنتم بِحمدِ اللهِ علىٰ أعدائِكم ظاهِرون ،

---

(١) في الأصْل : « وعيبها غانم » . والتصويب مِن بعض المصادِر التي نقلتْ تلك الخطْبة . مثل : « تاريخ قضاة الأندلس » للنباهي [ص/٦٨] . وهو الأوْجه . وجاءت في بعضِ تلك المصادِر : « وجفْنها غير نائم » . كذا في : « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس » لابن خاقان [ص/ ٢٤٢] . و« معجم الأدباء » لياقوت الحموي [٦/ ٢٧١٩] . و« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للمقري [١/ ٣٧٠] . و« أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » للتلمساني [٢/ ٢٧٥] ، وغيرها .

(٢) في بعضِ المصادِر : « بين » . كذا في : « معجم الأدباء » لياقوت الحموي [٦/ ٢٧١٩] . و« تاريخ قضاة الأندلس » للنباهي [ص/ ٦٨] .

(٣) وقعتْ هذه الكلِمة في بعضِ المصادِر السّالِف ذِكْرها : « بخالص » . وهي قريبة المعْنىٰ .

(٤) في الأصل : « وأكنفهم » . والمثْبت مِن المصادر السابقة ، وهي بمعنىٰ : « الكثْرة » . أي : « أكْثركم جمْعًا » .

(٥) من : التّهاجِي . يقال : تهاجىٰ الشّاعِرانِ . أيْ : هجا كلٌّ منهما الآخر ، وعدّد كلٌّ منهما معايِب الآخر . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٦٣٥/ مادة : هـ ج و] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ٢٣٢٩] .

(٦) من : التّرع . وهو : الإسْراع إلىٰ الشّرِّ . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [١/ ٣٤٤]=

فاستعِينوا علىٰ صلاحِ أحوالِكم بالمناصحة لإمامِكم ، والتِزام الطّاعة لابن عمّ نبيّكم ، فإنّ من نزع يده عن الطّاعة ، وسعىٰ في فرقةِ الجماعة ؛ مرق مِن الدِّين ، وخسِر الدّنيا والآخِرة ذلك هو الخسران المبِين .

وقد علِمتم أنّ في التّعلّق بِعِصمتِها ، والتّمسّكِ بِعروتِها ؛ صلاح الدّنيا والدِّيانة ، وحِفظ الأموال وأداء الأمانة ، وأنّ بِقِوامِ[1] الطّاعة تقام الحدود ، والوفاء بالعهود ، وبها وصِلتِ الأرحام ، ونفذتِ الأحكام ، واجتمعت كلِمة الإسلام ، وبها سدّ الله الخلل ، وأمّن السّبل ، وبها طاب لكم القرار ، واطمأنّت بِكم الدّار . فاعتصِموا بما أمركم الله بالاعتِصام به ، فإنّه تعالىٰ يقول : و﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقد علِمتم معاشِر المسلِمين [ما أحاط بِكم في جزِيرتِكم هذه][2] مِن صنوفِ المشرِكين ، وضروبِ الملحِدِين السّاعِين في شقِّ عصاكم ، وتفرِيقِ مسلِكِكم[3] ، الكادِحِين بالغوائِل في دِينِكم ، وهتكِ حريمِكم ، وتوهِينِ دعوةِ

= مادة : ت ر ع] . وفي بعضِ المصادِر السّالِف ذِكْرها : « تذادون » . أي : تدافعون . فالذّوْد هنا : هو الدّفْع . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٨/ ٧٤/ مادة : ذ ود] .

(١) قِوام الأمْر : نِظامه وعِماده . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٢٠/ مادة : ق وم] .

(٢) ما بين المعقوفتين : ليس بالأصْل ، والسِّياق يقْتضِيهِ . وهو مثْبت في : « مطمح الأنفس » لابن خاقان [ص/ ٢٤٣] . و« معجم الأدباء » لياقوت الحموي [٦/ ٢٧٢٠] . و« تاريخ قضاة الأندلس » للنباهي [ص/ ٦٨] و« نفح الطيب » للمقري [١/ ٣٧١] . ، وغيرها .

(٣) في الأصل : « مسئلكم » ! ولعل الصواب ما أثبتناه . وهي بِمعْنىٰ : « الطّرِيق » . أيْ : « وتفْرِيقِ طرِيقِكم » . وقد وقعتِ الكلِمة في بعضِ المصادِر السّالِف ذِكْرها : « ملئِكم » . وفي بعضها : « مِلّتِكم » .

نبيِّكم صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعلى جميعِ النَّبيِّين والمرسلين ، والحمد لله ربّ العالمِين .

ثم إلى المليءِ[1] بالمكافأة ، والقديرِ على المجازاة ، أرغب وإيّاه أسأل ، وبه إليه أتوسّل ، أن يتولّى مِن مكافأةِ أميرِ المؤمِنين ـ أبقاه الله ـ ما لا يفِي به إلّا جزاؤه ، ولا يتّسِع له إلّا عطاؤه ، ولا يبلغه إلّا جوده ، ولا يطول به إلّا يده ، ولا يكون إلّا عِنده .

وآخِر دعواتِي أنِ الحمد للهِ ربّ العالمِين ، الذي صدق وعده ، وأعزّ جنده ، وغلب كيده ، ونصر وليّه وحِزبه ، ومكّن في الأرض لِخلِيفتِه ، يتبوّأ منها حيث يشاء ، فنِعم أجر العامِلين » .

من أشعاره

وقال[2] [ق/١٥٣/ظ]:

مقالٌ كحدِّ السّيفِ وسط المحافِلِ ... فرقت بِهِ ما بين حقٍّ وباطِلِ

بِقلبٍ ذكِيٍّ ترتمِي جنباتُه ... كبارِقِ رعدٍ غيرِ[3] رعشِ الأنامِلِ

وقد حدّقت نحوِي العيون تخالها ... كمِثلِ سِهامٍ أثبِتت فِي المقاتِلِ

فما دحضت رِجلِي ولا زلّ مِقولِي ... ولا طاش عقلِي يوم تِلك البلابِلِ[4]

---

(١) المليء ـ بالهمْز ـ هو الغنِيّ . وقد تسهّل الهمْز وتشْديد الياء . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [١/٤٣٨/ مادة : م ل ء] .

(٢) هذا العزْو لِترْقِيم المخْطوط كان حقّه أنْ يكون بعد قوله : « رعْشِ الأنامِلِ » . لكِنْ وضعْناه هاهنا ؛ لِمراعاتِ نِظام الأبْيات الشِّعْرِيّة .

(٣) كذا بالأصْل : « غير » . وفي « مطمح الأنفس » [ص/٢٤٤] . و« نفح الطيب » [١/٣٧٣] : « عند » .

(٤) في « معجم الأدباء » [٦/٢٧٢٢] . و« مطمح الأنفس » [ص/٢٤٤] . و« نفح الطيب » [١/٣٧٣] : « الزّلازِل » .

لِخيرِ إمامٍ كـانَ أو هـو كـائِـنٌ لِمقتبلٍ أو في العصورِ الأوائلِ

ترىٰ النّاس أفواجًا يؤمّون فضله[1] وكلّهـم مـا بيـن راجٍ[2] وآمـل

وفود[3] ملوكِ الرّومِ وسط فِنائِهِ مخافة باسٍ[4] أو رجاءَ لِنائلِ

فعِش سالِمًا أقصىٰ حياة معمّرٍ[5] فأنت غِياث كلّ حافٍ وناعِلِ

ستملِكها ما بين شرقٍ ومغربٍ إلىٰ أرضِ قسطنطِين أو دربِ[6] بابِلِ

قال :

هذا المقال الّذِي ما عابه فنَدٌ لكِـنّ قـائِلـه أزرىٰ بِـهِ البلـد

لو كنت فِيهِم غرِيبًا كنت مطّرفًا[7] لكِنّنِـي مِنهـم فـاغتـالنِـي النّكـد

لـولا الخِـلافـة أبقـىٰ الله بهجتهـا ما كنت أبقىٰ بِأرضٍ ما بِها أحد

---

(١) في « مطمح الأنفس » [ص/٢٤٤] : « داره » . وفي « نفح الطيب » [١/ ٣٧٣] : « بابه » .

(٢) في « طبقات النحويين » [ص/٢٩٦] . و« مطمح الأنفس » [ص/ ٢٤٤] : « راضٍ » .

(٣) في الأصل : « وفرد » . والمثْبت من : « طبقات النحويين » [ص/٢٩٦] . و« معجم الأدباء » [٦/ ٢٧٢٢] . و« مطمح الأنفس » [ص/ ٢٤٤] . و« نفح الطيب » [١/ ٣٧٣] .

(٤) في الأصل : « لبس » . والمثْبت من المصادر السابقة .

(٥) في الأصْل : « معمرا » . والمثْبت من : « طبقات النحويين » [ص/٢٩٦] . و« مطمح الأنفس » [ص/٢٤٤] ، وفي « معجم الأدباء » [٦/ ٢٧٢٢] . و« نفح الطيب » [١/ ٣٧٣] : « مؤمّلًا » .

(٦) في « معجم الأدباء » [٦/ ٢٧٢٢] . و« نفح الطيب » [١/ ٣٧٣] : « أرْض » .

(٧) في « طبقات النحويين » [ص/٢٩٦] : « مطّرحًا » .

فصل
قام به على رأس المستنصر
إذ وفد عليه أمير النّصرانيّة أرمنقود[1]

« الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والإكبارِ والإعظام ، على النِّعم القِوام[2] ، واللآلئ الجِسام[3] ، وصلّى الله على محمّدٍ نبيِّ الرّحمةِ وإمامِ الهدى ومِصباحِ الظّلام .

معشر المسلِمين : أذكِّركم نِعمة اللهِ عندكم بِخلافةِ الإمام المستنصِر بالله أمِيرِ المؤمِنين ، الذي أعزّ الله دِينكم بِبركةِ خِلافتِه ، وشفى صدوركم وأذهب غيظ قلوبكم بيمنِ إمامتِه ، وأعلى كلِمتكم بِأعلامِ دولتِه ، وأظهركم على عدوِّكم بِظهورِ بيعتِه .

---

(١) هو أخو رِيموند بوريل الثالث صاحب برشلونة ، وقد كان لكل منهما دوْرٌ مشهودٍ في فِتن جِسامٍ بالأندلس . وقد تلاعبت المصادر العربية باسمه على ألوان شتى ! ففي بعضها : « أرمنقد » . وفي بعضها : « أرمقند » . وبعضها يقْلِب القاف غينًا ، وفي بعضِها : « أرمنجو » . ويقال غير ذلك . ينظر : « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام [١/ ٣٦] . وحاشية الأستاذ إحسان عباس عليه . و« كنز الدرر وجامع الغرر » لابن أيبك الدواداري [٤/ ٤٩٣] . وتعليق المحقّقيْنِ عليه ، و« دولة الإسلام في الأندلس » لمحمد عبد الله عنان [١/ ٦٤٨] .

(٢) القِوام ـ بالكسْر ـ : هي ما يقِيم الإنسان مِن القوت . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٢٠/ مادة : ق و م] .

(٣) أيْ : العِظام . فالجِسام : جمْع : « جسِيم » . وهو العظِيم . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٢/ ٩٩/ مادة : ج س م] .

وحسبكم ما ترون من وفود أئمة الكفر عليه ، وإقبالهم مستسلمين - بحكم أنفسهم - إليه ، فلزمهم الذل والصغار ، لم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ، ولكن الله قذف رعب الإمام المستنصر بالله في قلوبهم ، وأسكن هيبته في صدورهم ؛ ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٧] . فأتوه صاغرين خاضعين خائفين ، ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

نِعمةً مِن اللهِ علىٰ مَن استخلفه في أرضِه ، وارتضاه أمينًا علىٰ خلقِه ، خصّه الله بفضلِها ، وشملكم وجمِيع المسلِمين ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

الذي علِمه تبارك وتعالىٰ مِن صدقِ نِيّتِه في الحِماية عن الدِّين ، وصِحّةِ طويّتِهِ[1] في الذّبّ عن الإسلام والمسلِمين ، علِم ما في قلبِهِ فأنزل السّكِينة عليه ، وأثابه فتحًا قرِيبًا ، فاكشِفوا المحض[2] في طاعتِكم ، بالمناصحة لإمامِكم ، والدّعاءِ لِخلِيفةِ ربِّكم ، ابنِ عمِّ نبِيِّكم صلّى الله عليه وسلّم ، تكفرون بالعاجِل ، وتنتظِرون ثواب الآجِل ، إن شاء الله .

اللّهمّ كافِئه عنّا بِجِنانِك النّعِيم ، واستعمِله بِأعمالِ المتّقِين ، واجعله بِطاعتِك مِن الفائِزِين ، وأبقِهِ رءوفًا بالمؤمِنِين ، وفظًّا علىٰ الكافِرِين ، وزِدنا في إعلائِه ، وتأيِيدِه ، وإعزازِه ، وتمكِينِه ، وعِصمتِه ، وتوفِيقِه ، فإنّ ذلك حِياطةٌ

---

(١) أيْ : نِيّتِه . فالطّوِيّة : هي النّيّة والضّمير . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٣٨/ ٥١٣/ مادة : ط وي] .

(٢) أيْ : النّصيحة الخالصة . وهو مجازٌ . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [٥/ ٣٠١/ مادة : م ح ض] . و« تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [١٩/ ٤٥/ مادة : م ح ض] .

وحسبكم ما ترون من وفود أئمة الكفر عليه ، وإقبالهم مستسلمين - بحكم أنفسهم - إليه ، فلزمهم الذلّ والصغار ، لم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ، ولكنّ الله قذف رعب الإمام المستنصر بالله في قلوبهم ، وأسكن هيبته في صدورهم ؛ ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٧] . فأتوه صاغرين خاضعين خائفين ، ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

نعمةً مِن اللهِ علىٰ من استخلفه في أرضه ، وارتضاه أمينًا علىٰ خلقه ، خصّه الله بفضلِها ، وشملكم وجميع المسلِمين ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

الذي علِمه تبارك وتعالىٰ مِن صدقِ نِيّتِه في الحِماية عن الدِّين ، وصِحّةِ طوِيّتِهِ[1] في الذّبِّ عن الإسلام والمسلِمين ، علِم ما في قلبِهِ فأنزل السّكِينة عليه ، وأثابه فتحًا قرِيبًا ، فاكشِفوا المحض[2] في طاعتِكم ، بالمناصحة لإمامِكم ، والدّعاءِ لِخليفةِ ربِّكم ، ابنِ عمِّ نبِيِّكم صلّى الله عليه وسلّم ، تكفرون بالعاجِل ، وتنتظِرون ثواب الآجِل ، إن شاء الله .

اللّهمّ كافِئه عنّا بِجِنانِك النّعِيم ، واستعمِله بِأعمالِ المتّقِين ، واجعله بِطاعتِك مِن الفائِزين ، وأبقِهِ رءوفًا بالمؤمِنين ، وفظًّا علىٰ الكافِرين ، وزِدنا في إعلائِه ، وتأييدِه ، وإعزازِه ، وتمكِينه ، وعِصمتِه ، وتوفِيقِه ، فإنّ ذلك حِياطةٌ

---

(١) أيْ : نِيّتِه . فالطّوِيّة : هي النِّيّة والضّمير . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٣٨/ ٥١٣/ مادة : ط وي] .

(٢) أيْ : النّصيحة الخالصة . وهو مجازٌ . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [٥/ ٣٠١/ مادة : م ح ض] . و« تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [١٩/ ٤٥/ مادة : م ح ض] .

لِدِينِنا ودنيانا ، وأدنانا وأقصانا ، وخاصّتِنا وعامّتِنا ، وآخِر دعواتِي أنِ الحمد للهِ ربِّ العالمِين [ق/ ١٥٤/ و] ، له الحمد في الأولىٰ والآخِرة ، وله الحكم وإليه ترجعون ، وأستغفِر الله لِعامّةِ المسلِمِين ، لا إله إلّا هو ربّ العرش العظِيم » .

فصل
خطب به في جيش المستنصر بالله إلى الغزو

« الحمد للهِ الذي رضِي الإسلام دِينًا ختم به الأديان ، وبعث به محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم ، واصطفىٰ له مِن بعده من سبق في عِلمِهِ أن يكونوا خلفاء في الأرض ، قوّامِين بالقِسطِ .

اللّهمّ صلّ علىٰ محمّدٍ عبدِك ورسولِك الذي بعثته رحمةً للعالمِين ، وعلم نجاةٍ لِمن آمن به واتّبعه مِن الخلق أجمعِين .

اللّهمّ اغفِر لِأمِيرِ المؤمِنِين عبدِ الرّحمن بن محمّدٍ ، فقد أعمر أيّامه بِطاعتِك ، وجِهادِ أعدائِك .

اللّهمّ أصلِح عبدك وولِيّ عهدِك : عبد اللهِ المستنصِر باللهِ أمِير المسلِمين ، فقد افتتح مغازِيه بِمجاهدةِ المشرِكين ، والمناضلةِ عن ذرارِيّ[1] المسلِمين .

اللّهمّ أيِّد نِيّته بالتّوفِيق ، وآراءه بالتّسدِيد ، وعزماتِهِ[2] بالنّجح[3] ،

---

(١) الذّرارِيّ : جمْع : « ذرِّيّة » . وتجْمع أيضًا علىٰ : « ذرِّيّاتٍ » . وهم صِغار الأوْلاد . وقيل : الذرِّيّة اسْمٌ يجْمع نسْل الإنسانِ مِن ذكرٍ وأنْثىٰ . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٢/ ١٥٧/ مادة : ذ ر ر] .

(٢) جمْع : « عزْمة » . يقال : عزم عزِيمةً وعزْمةً ؛ إذا اجْتهد وجدّ في أمْرِه . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ٢٣٢/ مادة : ع ز م] . و« المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٤٠٨/ مادة : ع ز م] .

(٣) النّجْح : علىٰ وزن : « قفْلٍ » . هو لغةٌ في النّجاح . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٩٣/ مادة : ن ج ح] .

واصحبه ظاعِنًا[1] وصادِرًا بالسّلامة والفتح[2] .

معشر المسلِمين : تذكّروا ما فارق أمِير المؤمِنِين مِن أكنافِهِ[3] وقصورِه ، وأصحر[4] إليه وجهه مِن جوِّ هجِيرِه[5] ، وأنّ جِهاد كلِّ من جاهد معه ؛ إنّما انبعث مِن نِيّتِهِ وحركتِه ، فله منه أعلىٰ الدّرجاتِ وأجلّ المقاماتِ كما استحقّ عند ربِّه .

فأخلِصوا له دعاءكم ، وأكثِروا مِن الرّغبةِ إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ في سلامتِه ، فإنّها سلامة الجمِيع ، فبِنصرِ اللهِ له تثبت قواعِد الملك ، ويظهِر الله كلِمة التّوحِيد علىٰ كلِمةِ الشِّرك ، إن شاء الله .

معشر المسلِمين : ادعوا لإخوانِكم المجاهِدِين ، واحفظوا مغِيبهم ، فهم جِيرانكم ، وصِلوهم بعدهم في أهلِيهِم ، عودوا مرضاهم ، وشيّعوا جنائِزهم ، وأعِينوا[6] طالِب الحاجةِ مِنكم ، فذلك دأب الصّالِحِين قبلكم ، وفّقنا الله وإيّاكم » .

---

(١) في الأصل : « ضاعنا » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والظاعِن : هو المرْتحِل والمسافر . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ١٩٩/ مادة : ظعن] .

(٢) في الأصل : « وصادر السلامة والقبح » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) جمْع : « كنفٍ » . وكنف الشّيءِ : هو ناحِيته وجانِبه وظِلّه . وهو هنا كِنايةٌ عمّا يمْتلِكه . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٢٤/ ٣٣٤/ مادة : ك ن ف] .

(٤) أي : خرج . يقال : أصْحر الرّجل . أيْ : خرج إلىٰ الصّحْراء . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ١٧٣/ مادة : ص ح ر] .

(٥) الهجِير والهاجِرة : اشتداد الحرِّ نصف النهار . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٥/ ٢٤٦/ مادة : هجر] .

(٦) في الأصل : « وأغينوا » . بالغين ! ولعل الناسخ قصد : « وأغيثوا » .

فصل
زاد في حكمته، إذ خطب بجامع قرطبة
عند تمام الزيادة التي زاد بها أمير المؤمنين المستنصر

« عِباد اللهِ ، إنّ أفضل البيان ، ما أنزل الله مِن بيّناتِ الهدىٰ والفرقان ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وعسىٰ مِن اللهِ : واجِبٌ ، وعدٌ واقِع ، مِن ربٍّ صادِق ، ما يبدّل القول لديه ، ولا يضيِّع من أسند أمره إليه .

فالحمد للهِ الذي هدىٰ أمير المؤمِنين لإقامةِ أعلامِ الدِّين ، وتحدِيدِ شرائِعِ الدِّين ، مقِيمًا لِآثارِ النّبِيِّين ، والأئمّة الرّاشِدِين ، والسّلف الصّالِح مِن الصِّدِّيقين ، والشّهداء والصّالِحين .

والحمد للهِ الذي وفّقه للأفعال الرّضِيّة ، والآثار الزّكِيّة ، التي يبقىٰ علىٰ مرِّ اللّيالِي والأيّام فخرها ، وله عند اللهِ في الآخِرة أجرها وشكرها .

هذا بيتٌ أذِن الله بِرفعِه ، وأجرىٰ ذلك علىٰ يدي أمِيرِ المؤمِنِين ، واختصّه بِفضلِه ؛ لِيذكر اسم اللهِ فيه آناء اللّيل والنّهار ، ويسبّح له فيه بالغدوِّ والآصالِ .

فضِيلةٌ حباه الله بها ، ورآه أهلًا لها ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

ثم اعلموا عِباد الله : أنّ الدّعاء بتوفيق أميرِ المؤمنين رِضا ربِّ العالمين ، وبركةٌ لجميعِ المسلمين .

اللّهمّ تابع في توفيقِ أميرِ المؤمنين ، وأيّده بِما أيّدت به أهل طاعتِك مِن أهلِ السّماواتِ والأرضين أجمعين ، واكشِف به ما اشتهر [ق/ ١٥٤/ ظ] علينا مِن مصالحِ المسلمين .

اللّهمّ كِد من كاده ، واكبِت[1] من حادّه ، واقصِم[2] من سعىٰ في توهينِ سلطانِه ، واجعله أكِيلةَ مضيغةٍ[3] وسنانه[4] .

اللّهمّ كافِئه عنّا بما لا يفِي به إلّا جزاؤك ، ولا يتّسِع له إلّا عطاؤك ، ولا يبلغه إلّا جودك ، ولا يطول به إلّا يدك ، ولا يكون إلّا عندك ، إنّك ذو العرشِ المجيد الفعّال لِما يرِيد » .

من منثورات خطبه البليغة

وله في خطبةٍ : « لولا أنّ الله تبارك وتعالىٰ أخذ العهد والمِيثاق علىٰ العلماء بِقولِه : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ؛ لما جاز أن يعِظ مذنِبٌ ، ولا أن يذكّر مقصِّرٌ ، ولكان فيما أعلم مِن نفسِي شغلٌ عن عِظتِكم ،

---

(١) يقال : كبت الله العدوّ كبْتًا . أيْ : أهانه وأذلّه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٢٣/ مادة : ك ب ت] .

(٢) يقال : قصم الله فلانًا . أيْ : أهْلكه ، أوْ أهانه وأذلّه . وهو تعْبِيرٌ يراد به الدّعاء علىٰ الشّخص ؛ لإنْزالِ البليّة به . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٢/ ٤٨٦/ مادة : ق ص م] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ١٨٢٥] .

(٣) المضِيغة : كلّ عصبةٍ ذاتِ لحْم ، فإما أن تكون مِمّا يمْضغ ، وإما أن تشبّه بذلك إنْ كان مِمّا لا يؤْكل . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٨/ ٤٥١/ مادة : مضغ] .

(٤) كذا رسمها الناسخ !

واتقوا الله أيها الناس لعلكم تفلحون » .

وخطب يومًا فأحسن ، وأعجبته نفسه ، فأراد أن يذلّها فوصل خطبته فقال : « حتىٰ متىٰ وإلىٰ متىٰ أعِظ ولا أتعِظ ! وأزجر ولا أزدجر ! أدلّ علىٰ الطّريق المستدلّين ، وأبقىٰ مقيمًا مع الحائرين ، إنّ هذا لهو البلاء المبين »[1] !

رسالته الطويلة إلى ابن أبي العيش

ومن رسائِلِه : رِسالةٌ كتب بها إلىٰ ابنِ أبي العيش[2] صاحِبِ جراوة[3] في العدوة[4] ؛ إذ كان وجّهه النّاصِر أمِير المؤمِنِين رحمهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ العدوة إلىٰ من خرّب :

« بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ ، أطال الله بقاءك ، وأحسن إليك ، وأتمّ نِعمته عليك ، ووفّقك للسّداد ، وألهمك بِحاضِر التّوفِيق إلىٰ سبِيلِ الرّشاد ، أعلِمك - رضِي الله عنك - : أنّ أمِير المؤمِنِين عبد الرّحمن بن محمّدٍ - أطال الله بقاءه -[5] ، وجّهنِي إلىٰ أهلِ السّاحِلِ عامّة ، وإليك وإلىٰ نظرائِك خاصّة ،

---

(١) ينظر : « نفح الطيب » للمقري [٣/ ١٧٣] .

(٢) هو : الحسن بن أبي العيْش عِيسىٰ بن إدْرِيس بن محمّد بن سليْمان الحسنِيّ الطّالِبِيّ . ينظر : « جمهرة أنساب العرب » [ص/٤٨] . و« البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » للمراكشي [١/ ١٩٦] .

(٣) جراوة - بضمّ الجِيم - : هي ناحِيةٌ بالأنْدلس مِن أعْمالِ فحْص البلّوط . وقد أسّسها أبو العيْش عِيسىٰ بْن إدْرِيس سنة : (٢٥٧هـ) ، ووليها بعْده ابْنه الحسن بن أبي العيْش في سنة : (٢٩١هـ) . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٢/ ١١٧] . و« البيان المغرب » للمراكشي [١/ ١٩٦] .

(٤) العدْوة : هي اسْم موْضِع بالأندلس . ينْظر عنها : « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » للعمري [٤/ ١٦٧-١٦٨] . و« تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [٣٩/ ٢٢/ مادة : ع د و] .

(٥) وقع بالأصْل : « بِقاك » . وهو سهْوٌ مِن الناسِخ .

فإنّما يدعونه وداعِيًا[1] إلىٰ طاعتِه ، ومحضِّضًا ومرهِبا ، ومعذِّرًا ومنذِرا ، لِمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السّمع وهو شهِيدٌ .

واعلم ـ وفّقك الله ـ أنّ أحكام الدّنيا موضوعةٌ علىٰ أحكامِ الآخِرة ، ومبنِيّةٌ عليها ، ومنتظِمةٌ بها ، ومماثِلةٌ لها ، قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[2] [الواقعة : ١٠ـ١١] .

فلم يزلِ النّاس يمتثِلون في دنياهم بِمّا وعِدوا به في أخراهم ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

رأيت ـ ولِي الله حِفظك في فِطنتِك، ومعرِفتِك ، ويقظتِك ، ونجوتِك[3] ـ: احذر[4] من لقِّن عن ربِّهِ ما ضرب للنّاس مِن الأمثال ، وضرب لهم مِن الآياتِ لِيذّكّروا ، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

فسارع سارع الله بِك ، وقضىٰ بخيرِه[5] لك إلىٰ التِزام الطّاعة ، والمتابعةِ لِأميرِ المؤمِنين ، والدّخولِ فِيما دخل فيه المسلِمون المجاوِرون لك ، والمطِيعون بِك ، فإنّك تحظىٰ ـ إن شاء الله ـ بِمسارعتِك ، وتسعد بِبدارِك[6] ،

---

(١) كذا بالأصل ! وفي السياق خللٌ فيما يبْدو .

(٢) وقع بالأصْل : « السّابِقون السّابِقون أولئِك هم المقرّبون » . بزيادة : « هم » . وهو سهْوٌ مِن الناسِخ .

(٣) أيْ : سِرّك . فالنّجْو : هو السِّرّ . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٣٠٥/ مادة : ن ج ا] .

(٤) وضع الناسخ تحت الحاء حرْف العين ! كأنه يشِير لصوابِه أوْ لصحة الوجهيْنِ . ولم يظْهر لنا وجْه العين ! أمّا « احْذر » : فلعل المراد به التحضيض علىٰ تصْدِيق موعظة العالِم وسوءِ عاقبة من يسْتهين بها .

(٥) هذه الكلمة غير واضحة لنا بالأصل . ولعل ما أثبتناه أقرب إليها في الرسم أو المعنىٰ .

(٦) من المبادرة .

واقبل هذا الأمر[1] وهو يعرض عليك ، ولا تردّه وهو يسمح به لك ، فإنّ الأمور تتشابه إذا أقبل[2] ، فإذا أدبر تبيّن للعالِم والجاهِل .

فتدبّر - أكرمك الله - كِتابي هذا إليك حرفا ، وقِف على جميعِه فصلًا فصلا ، واجمع له ذِهنك ، واحشد إليه فِكرك ، وأمِت عند قِراءتِه وتصفّحِه غيظك ، وأحضِر له حِلمك وعقلك ؛ لأنّ الغضب عدوّ ابنِ آدم يحول بينه وبين الفهم حتىٰ لا يسمع ولا يبصِر ، وإن سمِعت أذناه لم يفهم ، ومن لم يفهم قلبه المعنىٰ كـ ﴿ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البقرة : ١٧١] . ولا يحضر وقت قِراءتِه إلّا من هذه صِفته عندك ، فإنّ السّفيه لا يأتِيك مِن عِنده خيرٌ ولا رشدٌ أبدًا .

ولا تشاوِر فيه من بحضرتِك مِن . . .[3] بالمشارِقة ، فإنّك متىٰ شاورتهم ؛ شاروا عليك بما يصلِحهم ويفسِدك ، ويقدِّمهم ويؤخِّرك ، فإنِّي إنّما أدعوك لِما فيه الخِيرة[4] لك في أجلِك ، والسّلامة والحظّ الأوفر في عاجِلك ، إلىٰ طاعةِ أمِيرِ المؤمِنِين ناصِرِ الدِّين [ق/١٥٥/و] ، والمجاهِد للمشرِكِين ، وقاسِمِ الفيءِ[5]

(١) في الأصل : « الأمور » . ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) أيْ : هذا الأمْر .
(٣) مقدار كلمة لم تتضِح لنا .
(٤) الخِيرة - بِفتْحِ الياء - : بِمعْنىٰ : « الخِيار » . والخِيار : هو الاخْتِيار . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ١٨٥/ مادة : خ ي ر] .
(٥) الفيْء : هو كل ما يحصل لِلْمسْلِمِين مِن أمْوالِ الكفّار ، مِن غير حرْب ولا معاوضة . وقيل : هو ما نِيل مِن أهْلِ الشِّرْك بعدما تضع الحرْب أوْزارها ، وتصِير الدّار دار إسلام . والغنِيمة : ما نِيل منهم عنْوةً والحرْب قائِمة . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ٤٨٢/ مادة : ف ي ء] . و« المغْرِب في ترتيب المعرب » للمطرِّزِيّ [١١٥/٢] .

في المسلِمين ، ما أخذه مِمّا يجبُ أخذه مِن أموالِهم ؛ ردّه في ثغورِهم[1] ومصالِحِ أمورِهم ، يذبّ[2] عن حرِيمِهِ ، ويبذل نفسه الكرِيمة دونهم .

وهذه صِفة الأئِمّةِ الذين يجب متابعتهم ، ولا يسع أحدٌ مخالفتهم ، إلّا أنّك لا تنكِر أنت ولا كلّ من يعرِف وينصِف قدم إمامتِه[3] ، وشرف خِلافتِه ، ليس كمن إنّما همّه بسفكِ دِماءِ المسلِمين ، واستِحلالِ أموالِ الموحِّدِين ، وسبيِهِم ، ووضعِ الفيءِ فيهم وفي ذرارِيِّهِم ؛ إقدامًا علىٰ اللهِ ، وجرأةً عليه ، وتعدِّيًا لحدودِه ، وخِلافًا علىٰ كِتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه صلّى الله عليه وسلَّم ؛ لم يصِحّ له عند النّاس بغيرِ دعواه نسبٌ ، ولا يقدّم له في هذا الأمر سببٌ ، ناعِق فِتنة ، وداعِي ضلالة ، شِيعته المفسِدون ، وأتباعه الضّالّون ، كلّ من قصر فهمه ، وقلّ باللهِ عِلمه .

فأمّا العقلاء مِن أهلِ ملكِه ، والعلماء مِن ساكِنِي مصرِه ، فإنّهم لفِعلِهِ منكِرون ، ولِمذهبِهِ ساخِطون ، وعلىٰ غيرِ ما شرعه للضّلّال مِن أتباعِهِ محتمِلون .

فراجِع ـ أكرمك الله ـ حِلمك ، واستيقِظ مِن سِنتِك[4] ، واتّقِ الله علىٰ نفسِك ، وقِف وقفةً علىٰ ما خاطبتك به بِجمِيعِ عقلِك ، واعتبِره بِصِحّةِ

---

(١) الثّغور : هي الحصون . وقد تقدّم التّعْرِيف بذلك .

(٢) أيْ : يدافِع ويمْنع . يقال : فلانٌ يذبّ عن حرِيمِه ذبًّا . أيْ : يدْفع عنهم . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [٢/ ٤١٩/ مادة : ذ ب ب] .

(٣) أيْ : رسوخ وثبات إمامتِه . يقال : له قدمٌ راسِخةٌ . أيْ : ثابتة . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٢٦/ مادة : ر س خ] .

(٤) السِّنة : فتور يتقدّم النوم ، وقيل السِّنة : ثِقلٌ في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب . ينظر : « مجمع البحرين ومطْلع النيّرَيْنِ » للطّريْحِي [٦/ ٣٢٥ـ٣٢٦] .

ذهنك ؛ تعلم بإذنِ اللهِ أنّي لم أنطق إلّا بالحقّ ، ولا خاطبتك إلّا بالصّدق .

واعلم أنّ الموت بين يديك ، وقضاء اللهِ نافذٌ عليك ، أفترضىٰ أن تلقىٰ ربّك في حِزبِ من يرىٰ سفك دِماءِ المسلمِين دِينا ، ويبدّل شرائعهم تبديلا ، ويستحِلّ أموالهم ، ويضع الفيء فيهم ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩] .

فإن أنكرت وكابرت ؛ فإنّما تكابِر عقلك ، وتزرِي[١] علىٰ نفسِك ، وتبدِي للنّاس بغضك ، فبادِر - أبقاك الله - إلىٰ ما ندبتك إليه ، وسارِع إلىٰ ما دعوتك له ، وكأنّ الذي كنت تتوقّعه قد أظلّك ، والذي كنت ترجوه قد أسلمك ، فاغتنِمِ المقبِل عِوضًا مِن المدبِر ؛ تربح صفقتك .

وسل - بعد أن يفتح الله لك باب الدّخول في ذلك - كلّ ما أردت . وامدد أملك إلىٰ كلِّ ما أحببت ، فلتبسط أمنِيّتك إلىٰ الخِطط[٢] التي ترفعك ، والأرزاق التي تسعك ، والحرمةِ . . .[٣] ، والصِّلاتِ التي تقِلك[٤] ، يوفّىٰ لك مِن ذلك بما تتمنّاه ، ويغمرك مِن إنعامِ أمِيرِ المؤمِنين وإفضالِه ما تحتسِبه و . . .[٥] .

فأقبِلِ الخير وهو يعرض عليك ، قبل أن تطلبها[٦] وهي معرِضةٌ عنك ، بل

---

(١) أيْ : تعِيب . يقال : فلانٌ يزْرِي علىٰ النّاس . أيْ : يعِيبهم . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [٣٨/٢١٦/ مادة : ز ر ىٰ] .

(٢) مفْردها : الخطّة - بضم الخاء - ، وهي الحال والأمر والخطْب . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لأبي السعادات ابن الأثير [٢/٤٨/ مادة : خط] .

(٣) مقدار كلمة لم تتضح لنا .

(٤) أي : ترْفعك وتحْمِلك .

(٥) هنا في بالأصْل : كلمة لم تتّضِح لي .

(٦) الضّمِير هنا : يعود علىٰ الأشْياء التي ذكرها مِن الأرْزاق والصِّلات ، وغيرها .

والله قبل أن يحتويك ما يطول عليه ندمك ، ويشتدّ له أسفك ، وتطلب الخلاص حِين لات حِين مناصٍ[(١)] .

واعلم أنّ أمِير المؤمِنين - أطال الله بقاءه - قد أقسم بالله قسمًا لا روِيّة[(٢)] له في غيرِ إنفاذِهِ : أنّ متىٰ لم تقبل ما بذِل لك ، وتدخل فِيما دخل فيه نظراؤك والقبائِل المتّصِلة بِك ، وتوجّه معِي رسولك بِكِتابِك ، بِموالاتِك لِأمِيرِ المؤمِنين ، والتِزامِك الطّاعة ، ودخولِك في الجماعة ؛ ليضرِبنّ هِمّته الرّفِيعة إليك ، ويبذلنّ بيوت أموالِهِ عليك ، ثم لا يقبل حِينئِذٍ دعوتك ، ولا يقِيل عثرتك ، ولا يغتفِر زلّتك ، حتىٰ يحكم الله فِيك وهو خير الحاكِمِين .

فالآن - ولِي الله توفِيقك - وأنت بِخيرِ النّظر ما دام عنا عنانك[(٣)] مرسلًا ، وأنت في أمرِك في مهلٍ مِن الدّخول في الطّاعة التي هي منقِذتك ، والإصرارِ علىٰ المعصِية التي هي مهلِكتك[(٤)] ، فإن [ق/ ١٥٥/ ظ] آثرت الطّاعة توجِّه رسولك إلىٰ أمِيرِ المؤمِنين بِكِتابٍ يدلّ علىٰ طاعتِك وموالاتِك ؛ يأتِيك أمانه وعهده لِكلِّ ما سألت ، ويشهد لك علىٰ ما فيه مِن الأمان والوفاء بِما يسأله ولِيّ عهدِه[(٥)]

---

(١) في الأصل : « حين ولات حين مناص » . ولعله سهْو من الناسخ . ومعنىٰ العبارة : أيْ : لا مهْرب ، ولا ملْجأ ولا مفرّ . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٢٨٧/ مادة : ل ي ت] . و[ص/ ٣٢١/ مادة : ن وص] .

(٢) أيْ : بِلا تفْكِيرٍ فيه ولا تدبّرٍ ؛ وذلك لِشِدّةِ غضبِه . فالرّوِيّة : هي التّفكّر في الأمْر . يقال : روّيْت في الأمْر ترْوِيةً . أيْ : نظرْت وفكّرْت . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٣٨/ ١٩٤/ مادة : ر وي] .

(٣) وضع الناسخ فتحةً فوق العين في الكلمتينِ . وعنا : أيْ خضع وذلّ . والعنان : ما عنّ - أيْ : بدا - لك مِن شيءٍ . ينظر : « صحاح اللغة » للجوهري [٦/ ٢٤٤٠/ مادة : عنا] . و« مقاييس اللغة » لابن فارس [/٩/ ١٩/ مادة : ع ن ن] .

(٤) في الأصل : « مهلتك » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) هو الخليفة الحكم المسْتنصِر بالله .

ـ أعزّه الله وسائِر ولدِه حفِظهم الله ـ ، ووزراءه ، ووجوه رِجالِه ، وخِيار من بحضرتِه مِن قضاتِه ، وفقهاء مِصرِه ، علىٰ ما جرت به العادة لِأمثالِك ، ونظرائِك وأشكالِك ، بِمشهدٍ مِن رسولِك ، وأنا لك به زعِيمٌ .

فانظر لِنفسِك ـ عزم الله[1] بإرشادِ أمرِك ـ قبل أن تحدِق[2] بك أولِياء الدّولةِ والقائِمون بالدّعوة برًّا وبحرًا ، فيحِيق[3] بِك الشّقاء ، وتحِيط بِك سرادِق[4] البلاء .

ثم تفهمِ الآن ما أخاطِبك به بِقلبٍ فارِغ ، وعقلٍ حاضِرٍ وفِكرٍ جامِع ، وكأنّي والله أنظر إلىٰ أيدِي بنِي خزر[5] ، وحمِيدِ بن بسيل[6] ، ومدين بن موسىٰ[7]

---

(١) أيْ : خلق الله لك قوّةً وصبْرًا . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ٢٣٢/ مادة : ع ز م] .

(٢) يقال : حدق القوْم بالرّجل وأحْدقوا به . أيْ : أحاطوا به . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٤/ ١٤٥٦/ مادة : ح د ق] .

(٣) يقال : حاق الشّيء به . أيْ : أصابه وأحاط به . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [٤/ ١٤٦٦/ مادة : ح ي ق] .

(٤) هو كلّ ما أحاط بشيءٍ مِن حائِطٍ ونحوه . وهو هنا كِنايةٌ عن المخاطِر والأهْوال . وقد تقدّم التّعْرِيف بذلك .

(٥) في الأصل : « حرر » . مهملة ! والصواب ما أثبتناه . وبنو خرز : رؤساء قبائل كانت لهم وقائع في عهْد الخليفة الناصر وابنه المستنصر .

(٦) رسمه الناسخ بالصاد : « بصيل » . والمشهور أنه بالسين كما أثبتناه ، وهو عبد الحميد بن بسيل بن عبد الوْاحِد بن عبد السّلام بن بسيل الرّومِي . وزير الخليفة الناصر وقائد جيوشه في بعض معارِكه . توفي سنة : ٣٣٩هـ . ينظر : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [٣/ ١٣٥] .

(٧) الظاهر : أنه مدْين بن موسىٰ بن أبي العافِية المِكْناسِي . ففي سنة (٣٢٨هـ) . انتدب الخليفة عبد الرحمن الناصر قاضِي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي للسفر إلىٰ العدْوة المغْربية للتوسّط بين الزعيميْنِ : الخير بن محمد بن خزر وبين مدْين بن موسىٰ بن أبي العافية المِكْناسِي لإيقاف الحربِ بينهما ومنْعِ سفْكِ الدماء ، فنفّذ منذرٌ ما ندِب له ، =

أولِياءِ أمِيرِ المؤمِنِين في جمِيعِ من كان لهم ، أو التفّ بهم ، فرجعت عليك .

وأمِير المؤمِنِين قد أرسىٰ[1] عليك بالحماة والأبطال مِن بين فرسانٍ ورِجالٍ ، مستعِدِّين لِمحاربتِك ، ومنتبِهِين لِمحاصرتِك ، بِخِلافِ ما تعرِفه مِن العدّة ، وما تتوسّمه[2] مِن الأهبة[3] .

فانظر ما أنت فاعِلٌ فافعل إذا حِيل بينك وبين الماءِ الذي لا تستطِيع أن تحرِزه[4] ، وقد أحاط بِك عشرة آلافٍ مِن رماةِ الحدق[5] ، ونصِبت عليك المناجنِيق[6] التي لا يعصِم منها الحذر فضلًا عن الدّرق[7] ؛ فلا تسبِق إليك إلّا أنّها قد حلّت عليك .

= وعالج الأمر برويّة فوفّق في مهمّته . ينظر : « المقتبس في أخبار أهل الأندلس » لابن حيان القرطبي [ص/ ٤٦٠] . تحقيق : شالميتا . نقلًا عن كتاب : « نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس » لسالم بن عبد الله الخلف [٢/ ٧١٦] .

(١) أيْ : أوْقف وثبّت . تقول : رسا الشّيء يرْسو ؛ إذا ثبت . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [٢/ ٣٩٤/ مادة : ر س ىٰ] .

(٢) يقال : توسّم الأمْر ؛ إذا تدبّره ، وتبصّره ، وتفكّر فيه . ينظر : « معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ٢٤٤١] .

(٣) الأهْبة : هي العدّة . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٨/ مادة : ء ه ب] .

(٤) أيْ : تناله وتحْتفِظ به . يقال : أحْرزْت الشّيء أحْرِزه إحْرازًا ؛ إذا حفِظْته وضممْته إليك وصنْته عن الأخْذ . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [١/ ٣٦٦/ مادة : ح ر ز] .

(٥) جمْع : « حدقةٍ » . وهي سواد العيْنِ وكلّ شيْء اسْتدار بشيء ، وأحاط بهِ . يقال : حدق فلانًا ؛ إذا أصاب حدقته . ويقال للقوم المصِيبِين في الرِّمايةِ : رماة الحدقِ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [٢٥/ ١٤٢/ مادة : ح د ق] .

(٦) المناجنِيق أو المناجِيق أو المنْجنِيق : هي آلةٌ قديمة مِن آلاتِ حِصارِ المدائِن ، كانتْ ترْمىٰ بها حِجارةٌ ثقيلة علىٰ الأسْوار فتهْدِمها . ينظر : « المعجم الوسيط » [٢/ ٨٥٥] .

(٧) الدّرق : هي أداةٌ تتّخذ مِن الجلود ، يحْمِلها المحارِب لِيتّقِي بها ضرباتِ السّيْفِ ونحوه .=

وكان قديم يمنع أسيره[1] ، ويقطع مرتفقك[2] مِن البرّ والبحر ، وتبقى محصورًا مدحورًا ، تركض في ميدانِ الغافلين ، وتضطرب في معتركِ[3] المعتدين ، قد خلت أمانيك ، وخابت أراجيك[4] ، تستنجد من لا ينجدك ، وتستنصر من لا ينصرك ، بل واللهِ يسلِمك[5] ويخذلك ، فيكون مثلك ومثله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ ﴾ [الحشر : ١٦] . الآية .

وأعوذ باللهِ أن أكون مِن الجاهِلين ، إذا ذكّروا لا يذكرون ، ويقولون : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٦] . وأن يحمِلوا[6] على رأيٍ يكون هذا عاقِبته ، أو يغرسِوا[7] غرسًا يكون هذا ثمرته .

ثم اعلم - أدام الله العافِية لك - أنِّي لم أخاطِبك بِكلٍّ ما خاطبتك به مِن التّذكِرة والتّبصِرة ، والملاينة والمباينة ، والإبراقِ والإرعاد[8] ، والوعدِ

= ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٠/ ٩٥/ مادة : د ر ق] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٧٤٠] .

(١) هكذا قرأناه مع كون النّاسخ لم يعْجِم أكثر الحروف ! وفي العبارة خللٌ ظاهر لم يتضِح لنا .

(٢) المراد بِالْمرْتفقِ : موضع الارْتِفاقِ ، وهو الِاتّكاء . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/١٠٩/ مادة : دور] .

(٣) في الأصل : « معترتك » . ولم يعْجمها الناسخ ! ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) جمْع : الأرْجِيّة ، وهي ما أرْجِي من شيْءٍ . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٤/ ٣١١/ مادة : رجا] . و« المعجم الوسيط » [١/ ٣٣٣] .

(٥) يقال : فلانٌ أسْلمه ؛ إذا خذله وأهمله وتركه لعدوِّه وغيرِه . ينظر : « المعجم الوسيط » [١/ ٤٤٦] .

(٦) في الأصل : « يحتملوا » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٧) في الأصل : « تغرس » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٨) يقال : أبْرق الرّجل وأرْعد ؛ إذا تهدّد وأوْعد . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٠/ ١٤/ مادة : ب ر ق] .

والوعِيد ، والإيعاد[١] ، والترّهيب والترّغيب ، إلّا عن عهدِ أمِيرِ المؤمِنين وبِأمرِهِ ، وأنّا نعرِّفه ـ أبقاه الله ـ بِكلِّ ما خاطبنا به ، ورافِعٌ نسخة هذا الكِتاب إليه ؛ لِيعلم ـ أبقاه الله ـ أنّي لم أكفّ الإعذار إليك ، واتِّخاذ الحجّة عليك ، ومنه إليه ما يكون مِن جوابِك إن كان لك جوابٌ .

وإن غرّك الشّيطان ، واستولىٰ عليك الخِذلان ـ وأرجو ألّا يفعل الله ذلك ولا يقضِي به عليك ـ ؛ فاعلم أنّها أوّل علاماتِ العطب[٢] ، وإن جدّيت[٣] في الهرب ؛ فإنّ الطّالِب أجدّ مِن الهارِب ، وستعلم لِمن تكون عقبىٰ الدّارِ .

أمّا أنا : فقد بلغت في تبصِرتك الغاية ، وفي مناصحتِك النّهاية ، وكفىٰ باللهِ شهِيدًا ، وهو أكبر الشّاهِدين ، وأسأل الله أن يلهِمك بما فيه حظّك ، ويبصِّرك مواقِع رشدِك ، ويكشِف الزّيف الواقِع علىٰ قلبِك ، إنّه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يرِيد ، وهو سمِيعٌ قرِيبٌ ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قدِيرٌ » .

تمّتِ الرِّسالة .

---

(١) يقال في الشّرِّ : الوعِيد والإيعاد . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوهرِيِّ [٢/ ٥٥١/ مادة : وع د] .

(٢) العطب هنا : هو الهلاك . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٢١١/ مادة : ع ط ب] .

(٣) يقال : جدّ في الأمر يجِدّ ؛ إذا اجتهد فيه . ينظر : « شمس العلوم » للحِميري [٢/ ٩٥٦] .

مراسلته مع أبي بكر ابن المغيلي

ووجدت رقعةً [ق/١٥٦/و] بِخطِّ أبي بكرٍ ابن المغِيلِيِّ[١] ، وكان مِن أهلِ الفهم ، قد كتبها إلىٰ القاضِي رحمهُ اللهُ ، عنوانها : « مسالةٌ مهِمّةٌ » ، ثم كتب في أوّلِ الرّقعةِ أبياتًا ، وهي :

أيّ هـذا الفقِيـه أصلحـك اللّـ	ـه ولا زال ذاخِـرًا لـك أجـرا
ما ترىٰ فِي امرِيءٍ[٢] يراضِيك جهرا	ويـراضِـي فِيـك الأعـادِي سِـرّا
مـازج لِـلإِمـامِ خيـرًا وشـرّا	خـالـط فِـي الأمـورِ حلـوًا ومـرّا
ما له فِي صدِيقه[٣] رأس مالٍ	فهو يسخو عليك بِالنّاسِ طرّا[٤]
أقبِيـحٌ بِـأن يكـافـئ مِثـلا	أو... بِقِسـطِ مـن...[٥]
أفتِنِي بِالّذِي علىٰ ما شاء خصـ	ـمِي مِن الجوابِ جهرًا وسِرّا

ثم كتب : « يا سيِّدِي - ومن متّعنِي الله بِسلامتِه ، وكبت[٦] أهل كراهِيتِه - ،

---

(١) بِفتْحِ المِيم ، وكسْرِ الغيْنِ ، وياءٍ ساكِنةٍ . هو أبو بكْرٍ يحْيىٰ بن عبد الله بن محمّدٍ القرْطبِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٦٢ هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/ ١٨٨] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٨/ ٢١٠] . و« تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » لابن حجر [٤/ ١٣٨٢] .

(٢) في الأصل : « أمر » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) كذا قرأناها .

(٤) أيْ : جمِيعًا . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ١١٩/ مادة : ط ر ر] .

(٥) مكان النقط كلمتان لم تتضِح لنا .

(٦) يقال : كبت الله العدوّ . أيْ : أهْلكه وأهانه وأذلّه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٢٣/ مادة : ك ب ت] .

هذه نازِلةٌ عرضت ، وما أظرّ[١] لها غير أبي بكرِ الفقِيهِ حفِظه الله تعالىٰ ، فما ترىٰ في إنفاذِها ؟ والسّلام عليك يا سيِّدِي ورحمة اللهِ » .

فجاوله[٢] القاضِي في ظهرِ الرّقعة ، وللجواب جلبنا نسخة الكِتاب .

كتب القاضِي رضي الله عنه : « بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ ، يا سيِّدِي ـ ومن أبقاه الله ـ ، من كافأ استوفىٰ حقّه معجّلا ، ومن أغضىٰ انتظر ثوابًا مؤجّلا ، والمعجّل يفنىٰ ، والمؤجّل يبقىٰ ، والدّفع بالتي هي أحسن لا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظِيمٍ .

أرىٰ أن نترك التّرك ما تركونا ، وندعهم ما ودعونا ، إلّا أن يضطرّونا ويكشِفوا وجوههم إلينا ، فإذا كان ذلك ؛ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٣٧] . والباغِي مصروعٌ لِوعدِ الله ، والسّلام عليك بنيّ ورحمة الله » .

ثناء المؤلّف على مراسلته مع أبي بكر ابن المغيلي

وهذه بلاغةٌ جمّة ، ومعانٍ جزلة[٣] ، مؤيّدةٌ بالكِتاب وحدِيثِ الرّسول ، قد سردها سردًا .

ورسائِله كثِيرةٌ إلىٰ من يناظِر معه وردّ عليه وإلىٰ غيرِهم ، وإنّما كتبت منها ما كتبت ؛ لِئلّا يخلو هذا الكِتاب مِن بعضِها .

---

(١) أيْ : أصْلب وأشدّ . فهي كِنايةٌ عن الظِّرِّ أو الظّرر . يقال : أظرّ الرجل . أيْ : مشىٰ علىٰ الظّرر . وهو الحجر المدوّر أو المحدّد الذي له حدٌّ كحدِّ السِّكِّين . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [١٢/ ٤٦٦ـ٤٦٨/ مادة : ظ ر ر] .

(٢) مِن التجاول . يقال : تجاولوا فِي الْحرْبِ ؛ إذا جال بعْضهمْ علىٰ بعْضٍ وكانتْ بيْنهمْ مجاولات . أي ممانعةٌ ومدافعةٌ . ينظر : « تاج العروس » للزّبيدي [٢٨/ ٢٤٩/ مادة : جول] .

(٣) أيْ : فصِيحة .

من مليح أخباره مع أبي جعفر ابن النحاس

ومن مليحِ أخبارِهِ : ما حكاه الزّبيدِيّ فيه[1] ، في بابِ ذِكرِهِ أخبارًا في [أبي][2] جعفر ابن النّحّاس : « وحدّثنِي قاضِي القضاةِ منذِر بن سعِيدٍ قال : أتيت ابن النّحّاسِ في مجلِسِهِ ، فألفيته[3] يملِي في أخبارِ الشّعراءِ : شِعر قيسِ بنِ معاذٍ المجنونِ ؛ حيث قال :

خليلِيّ هل بِالشّامِ عينٌ حزِينةٌ ... تبكّي علىٰ نجدٍ لعلّي أعِينها

قد اسلمها الباكون إلّا حمامةً ... مطوّقةً باتت وبات قرِينها

فلمّا بلغ هذا الموضِع قلت : باتا يفعلانِ ماذا أعزّك الله ؟! فقال لِي : وكيف تقول أنت يا أندلسِيّ ؟ فقلت : « بانت وبان قرِينها » . قال القاضِي : فما زال يستثقِلنِي بعدها حتىٰ منعنِي كِتاب « العين »[4] . وكنت ذهبت إلىٰ الانتِساخ مِن نسختِهِ ، فلمّا قطع بِي قيل لِي : أين أنت مِن أبِي العبّاس ابنِ ولّاد ، فقصدته ، فلقِيت رجلًا [ق/١٥٦/ظ] كامِل العقلِ والعِلمِ والأدبِ ، حسن المروّة[5] ، وسألته عن الكِتاب ؛ فأخرجه إليّ ، ثم تندّم بعد أبو جعفرٍ النّحّاسِ حِين بلغه إباحة أبي العبّاسِ كِتابه لِي ، وعاد إلىٰ ما كنت أعرِفه منه » . تمّتِ الحِكاية .

---

(١) في : « طبقات النحويين » [ص/ ٢٢١] .

(٢) ما بين المعقوفتين : ليس بالأصْل . والسِّياق يقْتضِيهِ .

(٣) أيْ : وجدْته .

(٤) أيْ : « كتاب العيْن » لأبي عبد الرّحْمن الخليل بن أحْمد الفراهِيدِيّ رحمهُ اللهُ .

(٥) المروّة ـ بالتشديد ـ : كالْمروءة . وهي آداب نفْسانية تحْمِل مراعاتها الإنسان علىٰ الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [٢/٥٦٩/ مادة : مرء] .

وكان رحمهُ اللهُ طيّبًا في ذاتِ اللهِ ، مؤيّدًا للحقّ ، صابِرًا على القول سحبًا[1] بحرمتِهِ في جنبِهِ ، لا يبالِي في ذلك لوم لائِمٍ ، حتى كاد ذلك يضرّ ويخِلّ بمنصِبِهِ عند السّلطان ، ولكِنّهم صبروا له عليه ، وتبرّعوا[2] به لِعِلمِهِم بِصِحّةِ طوِيّتِه[3] ، وصِدقِ نِيّتِه ، وقوّةِ بصِيرتِه .

من أخبار جرأته وصدعه بالحقّ أمام وليّ العهد

فمِمّا يشهد له بذلك : أنّه حكِي عنه : أنّ كِتاب غالِبِ بن عبد الرّحمنِ القائِد الكبِير[4] ، ورد عليه مِن مدِينةِ سالِمٍ[5] مع رجلينِ مِن كِبارِ الجندِ ، يذكر له فيه : « أنّ امرأةً نزعت إليه ، وذكر أنّها اختدِعت ، أو قهِرت بِقرطبة حتى أخرِجت إلى مدِينةِ سالِمٍ ، وأنّها حرّةٌ ، وأنّ لها والِدًا شيخًا في ربضِ[6] العاصِي[7] ، فبعث بها غالِبٌ الرّجلينِ ، وكتب إلى القاضِي يعلِمه أمرها ،

---

(١) هكذا رسمها الناسخ !

(٢) كذا رسمها الناسخ : « وتبرعوا » .

(٣) أيْ : هو سلِيم القلْب صافِيهِ . وقد تقدّم التّعْرِيف بذلك .

(٤) كان وزيرٌ وقائدًا كبيرًا في دولة الحكم المسْتنصر . وكان مولًى لأبيه الناصر . وهو أعظم قادة الأندلس ورجالاتها في هذا العصر . ينظر : « دولة الإسلام في الأندلس » لمحمد عبد الله عنان [١/ ٥١٢] . و« الحلل السندسية في الأخبار وآلاثار الأندلسية » لشكيب أرسلان [٢/ ١٦٤] .

(٥) مدِينة سالِمٍ : هي مدِينةٌ شهيرة بالأنْدلس كانت مِن أعْظم المدن وأشْرفها وأكثرها شجرًا وماءً . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٣/ ١٧٢] .

(٦) الرّبض ـ بفتْحِ الراء والباء ـ : هو ما حوْل المدِينة . وقيل : هو الفضاء حوْل المدِينة . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٧/ ١٥٢/ مادة : ر ب ض] .

(٧) العاصِي : هو اسْم نهْرٍ في سورِيّة ، ويعْرف بـ« المِيماس » ـ بِكسْرِ أوّلِه ، وسكونِ ثانِيه ـ ، مخرجه مِن بحيْرةِ قدس ـ بفتْحِ القاف والدّال ـ ، ومصبّه في البحْر قرْب أنْطاكِية . قيل : إنّما سمِّي بـ« العاصِي » ؛ لِأنّ أكْثر الأنْهرِ تتوجّه ذات الجنوب ، وهو=

ويسأله امتحان قِصّتِها ، وحملها على الواجب .

فلمّا قرأ القاضِي الكِتاب ، قال لِلرّجلين : وأين المرأة ؟ فقالا له : هي جارِيةٌ حدثةٌ[1] جمِيلةٌ ، وقد خرج إلينا رجلٌ مِن الجند يعرف بـ : « ابن الطّماطن » ، وانتزعها مِنّا وصارت عنده ، ولم يكن لنا به طاقةٌ ؛ لِتظافرِه علينا[2] بِمِثلِهِ مِن أهلِ الشّرِّ .

وكان النّاصِر في ذلك الوقت علِيلًا محجوبًا ، وكان القاضِي عزّرهما[3] ، وكتب إلىٰ غالِبٍ بِجوابِهِ ، وأطلقهما ، ثم رغِب إلىٰ الحكمِ ولِيِّ العهدِ[4] ، فأخبره وأراه كِتاب غالِبٍ إليه . فقال له : لست أرىٰ لك التّعرّض لِجندِ أمِيرِ المؤمِنِين ، لا سِيّما في هذا الوقت ؛ فالحاجة إليهِم شدِيدةٌ ، وتلزمنا مداراتهم ، وإن أحدثت في هذا شيئًا ثمّ ؛ نقِه[5] أمِير المؤمِنِين ورفع إليه الجندِيّ ذلك ؛ لم آمن أن يلحقك مِن إنكارِهِ عليك ما يشقّ عليك .

قال : فانظر أنت في هذا الأمر ، فأنت ولِيّ عهدِهِ ، والقائِم مقامه .

= يأخذ ذات الشِّمال . وليس هذا بِمطّرِدٍ . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٤/٦٨ـ ٦٩] . و[٥/ ٢٤٤] . و« المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية » [ص/ ٤٨٢] .

(١) أيْ : شابّةٌ . وكلّ فتِيٍّ مِن النّاس والدّوابّ والإبل : حدثٌ ، والأنْثىٰ : حدثةٌ . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٢/ ١٣٣/ مادة : ح د ث] .

(٢) يقال : تظافر القوْم ، وتظاهروا ؛ بِمعْنًىٰ واحِدٍ . ينظر : « تاج العروس » للزّبيدي [٧/ ١٦٦/ مادة : ظفر] .

(٣) أيْ : الرّجليْنِ .

(٤) هو الخليفة الحكم المسْتنصر ابن الخليفة الناصر .

(٥) يقال : نقِه الرجل مِن مرضِه ؛ إذا صحّ وهو في عقِب عِلّتِه . ينظر : « صحاح اللغة » للجوهري [٦/ ٢٢٥٣/ مادة : نقه] .

فقال : أخاف أن يلحقني في ذلك فوق ما يلحقك ، كأنّي أسمعه يقول - إذا عرف القصة - : أنا لم أمت بعد ، وأنت تتحكّم في جندي وتذلّ رِجالي ، لست أفعل في هذا شيئًا ، ولا آمرك أن تتعرّض لِمثلِ هذا .

فخرج مِن عنده ونفسه ترتمض[1] لفظة الجارِيةِ وأبيها ، ورجع إلىٰ الحِيلة ، فأمر أعوانه بالسّير إلىٰ ابنِ الطّماطن ، وأن يقِف به منهم رجلانِ ، ويقولانِ له : القاضِي يدعوك ، فانهض معنا إليه ، ويكون سائِرهم علىٰ مقربةٍ[2] ، فإن طاع لم يهيجوه ، وإنِ امتنع علىٰ الرّجلينِ ؛ فأيّ مِن الأقيالِ[3] إليه تعاونوا عليه حتىٰ تأتوا به .

فمضوا علىٰ ما حدّ لهم ، فلمّا أن وقف به الرّجلانِ قالا له : القاضِي يرِيد أن يراك ، فابلغ معنا إليه ساعةً . وكان قد قال لهم القاضِي : حيث وجدتموه لا تتجاوزوا الموضِع حتىٰ تأتوني به ، لا يدخل داره البتّة[4] بعد أن يظهر إليكم .

فقال لهما : أدخل الدّار وآخذ رِدائِي . فقالا له : لا ، ابعث في رِدائِك ، أو مر بإخراجِهِ إليك ، فلا سبِيل إلىٰ مفارقتِك البتّة ، فانطاع وأخرِج إليه

---

(١) أيْ : تحْرق مِن الغيْظ والجزع . يقال : رمِض الرجل للأمْر . أيِ : احْترق له غيْظًا . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٧/ ١٦٠/ مادة : ر م ض] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/ ٩٤٢] .

(٢) شدّد الناسخ حرف الياء !

(٣) الأقْيال هنا : مرادفة لكلمة أبطال ، بمعنىٰ : الشجعان والبواسِل . والأصل في القيْل : أنه الملِك مِن ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملِك الأعظم . ينظر : « صحاح اللغة » للجوهري [٥/ ١٨٠٦/ مادة : قيل] . و« تكملة المعاجم العربية » لرينهارت آن دوزِي [٨/ ٤١٤] .

(٤) أيْ : قطْعًا لا رجْعة فيه . ينظر : « المعجم الوسيط » [١/ ٣٧] .

الزّداء ، ودخل الطّريق معهم حتىٰ صار بين يدي القاضي في بيته .

فقال للأعوان : خفوا عنّا حتىٰ لم يبق غيرهما في [ق/١٥٧/و] البيت ، فأقبل عليه يبسطه ويداريه[1] ، وقال له : تعلم أنّ النّصيحة واجبةٌ لبعضنا علىٰ بعضٍ من وجوهٍ كثيرةٍ ، لا سيّما وخِدمة السّلطانِ تجمعنا ، وقد كتب إليّ الوزير الفائز غالبٌ بكيت وكيت[2] ، وحكىٰ رسله عنك كيت وكيت ، فأسبِل[3] السّتر علىٰ نفسك ، وأحضِرِ الجارية ، نردّها إلىٰ أبيها ، فإنّه إن علِم بهذا وليّ العهدِ ورفعه إلىٰ أمِيرِ المؤمِنِين ؛ كان في ذلك ذهاب مهجتِك[4] ؛ لِأنّك أقدمت علىٰ عظِيمٍ وأجرمت كبِيرًا .

فأنكر ما قاله القوم عنه ، ولجّ[5] في ذلك ، فلاينه جهده ، فأبىٰ عليه وقال : ليست هذه صِفتِي ، ولا أنا مِمّن يرضىٰ بهذا . ونحو هذا مِن القول .

---

(١) من : « المداراة » . وهي ملاينة النّاس ، وحسْن صحْبتِهم واحْتِمالهم ؛ لِئلّا ينْفِروا عنْك . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٢/ ١١٥/ مادة : د ر ىٰ] .

(٢) كيْت وكيْت : هي كِنايةٌ عن القِصّة والحِكاية ، ولا تسْتعملانِ إلّا مكرّرتيْنِ . يقال : كان مِن الأمْر : « كيْت وكيْت » . أيْ : نحو كذا وكذا . والتّاء فيهما : تفْتح وتضمّ وتكْسر . ينظر : « الصحاح في اللغة » لِلجوْهرِيِّ [١/ ٢٦٣/ مادة : ك ي ت] . و« النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٤/ ٢١٦/ مادة : ك ي ت] . و« المعجم الوسيط » [٢/ ٨٠٦] .

(٣) أيْ : أرْسِلْ . يقال : أسْبل فلانٌ ثِيابه ؛ إذا أرْسلها وأرْخاها . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١١/ ٣٢١/ مادة : س ب ل] . و« المعجم الوسيط » [١/ ٤١٥] .

(٤) أيْ : روحك . يقال : خرجتْ مهْجته . أيْ : روحه . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٣٠٠/ مادة : م هـ ج] .

(٥) لجّ في الأمْر لججًا ؛ إذا تمادىٰ فيه معانِدًا ، وأبىٰ أنْ ينْصرِف عنه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٤٩/ مادة : ل ج ج] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ١٩٩٤] .

فلمّا رأى القاضي إنكاره وأعيته الحيلة فيه ، قال : أين الأعوان ؟ قال : فأقبلوا ، فقال : أقيموه ، جرّدوه ، هاتوا السّوط ، ثم قال : اسمع ، من لم يردّه[1] الجميل ، ففي عقوبته صلاحه ، تالله لئن ضربتك منها سوطًا ، ثم أقررت إن رفعته عنك حتى تكمل المئة[2] ، وأبتدئ المئة الأخرى إن رفع عنك الضّرب حتى تكمل المئة الثّانية ، ثمّ كذلك مئة مئة حتى ترجع الجارية ، أو تذهب نفسك .

فلمّا وقف هذا الموقِف وأيقن بالبلاء ؛ أقرّ قبل أن يضرب بالجارِية ، وقال : أحضِرها ، أعزّ الله القاضِي .

فقال له : لست تبرح مِن بين يديّ أو تحضر ، أعطِ الأعوان أمارةً إلى أهلِك ، فإذا جِيء بالجارِية ؛ رأيت رأيِي قِبلك .

فأعطاهم خاتمه ، وتوجّهوا إلى دارِه ، ثم بعث في والِدِها[3] ، فأتى الأعوان بالجارِية ، وجاء أبوها ، فقال له القاضِي : هذه ابنتك ؟ فقال : نعم . وقال لها : هذا أبوكِ ؟ فقالت : نعم . فقال للشّيخ : اخل بِابنتِك واعرِف إن كان أحدث عليها هذا حدثًا[4] . فذكرت أنّه لم يكن منه إليها شيءٌ أكثر مِن أنّه أدخلها داره وحجبها فيها .

فقال القاضِي للشّيخ : خذ بِيدِ ابنتِك وانصرِف ، ثم عطف على ابنِ الطّماطنِيِّ فقال له : لو فعلت هذا قبل أن توقِف نفسك هذا الموقِف ؛ أما كان

---

(١) في الأصل : « يرديه » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) أي : المِئة جلْدة .

(٣) أي : في طلبِ والِدِها .

(٤) أي : أصابها بمكروهٍ وأذاها .

أجمل بِك ! انصرِف ، فلولا ما تعرِفه لنا ؛ لك[1] مِنّي ما تكرهه .

ثم ركِب إلىٰ ولِيِّ العهد ، فلمّا صار بين يديهِ قال له : انصرفتِ ابنة الشّيخ إلىٰ أبِيها ، وأغنىٰ الله تعالىٰ عنك ، وكانت له عليه دالّةٌ[2] لم تكن لغيره ، فقال له : وكيف ؟ فأخبره بالأمر . فقال له ولِيّ العهد : فلو لجّ في الإنكار أكنت تضربِه ؟ فقال له : نعم والله كنت أضرِبه ، فما عسىٰ ما كنتم تفعلون بِي ؟ هل كان إلّا العزل ؟ فيعزل منذِر بن سعِيدٍ لأن أيد الحقّ وأعزّ المظلوم ، وكان ماذا ! فشكره ولِيّ العهد ، وقال له : « الحمد لله الذي ألهمك لهذا ـ وصرف إلىٰ الشّيخ ابنته ـ لا أخلانا الله مِن حسنِ نظرِك وجمِيلِ نِيّتِك » .

ويحكىٰ أنّ القاضِي : قال له مداعِبًا عند . . .[3] مِن النّظر في القِصّة : « . . .[4] فِيك حوائِجنا ! » . وليس هذا بِبعِيدٍ عند من يعرِف لطِيف محلِّهِ منه .

قصّة أخرىٰ في جرأته بالحقّ أمام الخليفة النّاصر

وعرض له مِثل هذا أيضًا مع النّاصِر في قضِيّةٍ بعضِ الحلفاء مِن الفِتيان : « كان سكن[5] علىٰ مقبرةٍ مِن مقابِرِ بنِي العبّاس ، عند مسجِدِ الأمِيرِ الذي في آخِرِ الزّقاق[6] الكبِير ، وأوّل المقبرة قرب دورِ القريشِ بنِي العبّاس الذين

---

(١) كذا بالأصْل : « لك » . فيقدّر لها محْذوفٌ : « لكان لك » .

(٢) أيْ : منْزِلةٌ . وهي الاسْم مِن الإِدْلال . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٤/ ١٩٩٤] .

(٣) مقدار كلمة غير واضحة بالأصل . رسمها الناسخ هكذا : « اتاتيه » !

(٤) مقدار كلمة غير واضحة بالأصل . رسمها الناسخ هكذا : « معنا » !

(٥) في الأصل : « فسكن » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) الزّقاق : جمْع : « أزقّة » . يذكّر ويؤنّث . وهو السّكّة أو الطّرِيق الضّيّق نافِذٌ أو غير نافِذٍ . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٥٤/ مادة : ز ق ق] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/ ٩٨٨] .

أنّ جيران المسجِدِ وقفوا بالقاضِي ، فشكوا إليهم المقبرة ، فإنّه حكِي : أنّ الفتىٰ يأمر بِبسطِ الزّبول[1] لِحمامِه علىٰ القبور [ق/١٥٧/ظ] وحوالي المسجِد ، وأنّ الدّود تنتشِر منها ؛ فتدخل في المسجِد وتكثر ، فلا يكاد الرّجل يجِد حيث يسجد إلّا عليها .

فأوصىٰ إليه في ذلك وعرّفه بِما قاله الجِيران ، وتواعده إن لم يقطع ذلك عنهم . فلم يحتفِل[2] بالوصِيّة واستهان بها ، ثم إنّ الجِيران عادوا إلىٰ القاضِي وحكوا أنّه يتواعدهم ، ويرِيد الإضرار مِمّن أمكنه منهم والتّشدِيد[3] به . فقال لهم : إذا لم يكن في الدّولة[4] فأعلِموني .

فأعلموه في الوقت الذي حضر فيه في دارِهِ ، فاستركب مع نفسِهِ الفقهاء حتىٰ وقف علىٰ بابِ دارِ ذلك المقدم ، ثم استخرِج فخرج ، فأمره بِقطعِ الضّررِ بعد مشاورةِ الفقهاءِ بحضرتِهِ ، فبسط الفتىٰ لِسانه فسبّ القاضِي وسبّ الفقهاء ، فأمر القاضِي بِأخذِهِ ، ثم أدّبه أدبًا موجِعًا بِحضرةِ الفقهاء ، وأمر بِكنيسِ الزّبولِ مِن علىٰ القبور ومِن حولِ المسجِد ، وانصرف . فركِب الصّقلِبِيّ[5] مِن ساعتِهِ

---

(١) الزّبول - بضمّ الزاي - : جمع : « زِبْلٍ » . وهو روْث الحيوانات . أيْ : الغائِط الذي يخْرج منها . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٥/٢٧٤٩] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/٩٧٢] .

(٢) أيْ : لم يبالِ بما قال . يقال : ما احْتفل به ؛ أي : ما بالىٰ به . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [١٤/ ١٥٥/ مادة : ح ف ل] .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل صوابه : « والتنديد » . يقال : ندّد به : إذا شهّره وسمّع به . ينظر : « شمس العلوم » لِلحِمْيرِي [٩/٦٤٥١] .

(٤) علىٰ حذْفِ مضافٍ تقديره : « في شئون الدولة » .

(٥) الصّقْلبِيّ - بِفتْحِ الصّاد ، وسكونِ القاف ، وفتْحِ اللّام - : نِسْبةٌ إلىٰ الصّقالِبة ، وهم مِن ولدِ صقْلب بن نبْطي . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٣/٤١٦] . و« اللباب في تهذيب الأنساب » لابن الأثير [٢/٢٤٤] .

إلى الزّهراء ، وحشد الصّقالبة في جميع القصر ، . . .[1] عليهم فضّة ، فتعصّبوا معه كلّهم وتصدّوا أجمعين إلى النّاصر عبدِ الرّحمن ، فشكوا بشكوى أصحابِهم وبكوا ، وقالوا : إنّما فعل هذا بِك[2] ! نحن خدمتك ، وسكّان نصرِك ، والأمناء على حرمِك ، يفعل بِنا مِثل ذلك ثم لا تنصرنا ! فراعه أمرهم[3] ، وبعث في ولِيِّ العهدِ[4] وقال له : اسمع ما يقول هؤلاء ، وانظر ما يأتِيهِ هذا الذي ائتمِنت[5] فيه .

فلمّا سمِع الأمر عظم عنده أيضًا ، وعزّ عليه ما رأى مِن ثبوتِ النّاصِرِ مع عبِيدِهِ . فقال له النّاصِر : ابعث فيه واخرج عليه ، وابعث به إليّ حتى أعرِف ما الذي حمله على ما فعل ؟

فحكِي عن القاضِي أنه قال : دخلت على ولِيِّ العهدِ ، فلمّا صِرت بين يديهِ قال لِي : كم تطالِب نفسك ؟ لست واللهِ أقدِر لك على شيءٍ ، ولقد رأيت أمِير المؤمِنِين مِن الحنق[6] عليك في غايةِ ما أقدمت على . . .[7] فِيك بِكلِمةٍ ، وإنّ هذا لمِمّا يغمّنِي فِيك .

---

(١) هنا كلمة لم تتّضِح لي . رسمها الناسخ هكذا : « وسنع » ! وهي في مقام : أسبغ وأسبل وأغدق ونحوها .

(٢) يقْصِدون القاضِي منذرًا . يعني : ما فعله معنا القاضي كأنه فعله بك أيها الخليفة ، لأنّنا نحْن خدمتك . . . إلخ .

(٣) أيْ : أفزعه . يقال : راع الأمر فلانًا ، أي : أفزعه وأخافه . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٢/ ٢٧٨/ مادة : راع] .

(٤) على حذْفِ مضافٍ تقديره : « في طلبِ أو إحضار ولِيّ العهْد » .

(٥) رسمها الناسخ قريبًا من هذا ، وقد يقْرأ : « اتسمت » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) الحنق ـ بفتْحِ الحاء والنّون ـ : هو الغيْظ . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٨٣/ مادة : ح ن ق] .

(٧) كلمة غير واضحة بالأصل .

عدوٌّ لله ، ثم جاء الإذن فقال للقاضي : أجب أمير المؤمنين ، فقام فدخل ،

قال القاضي : فقلت له : تبرّأ منّي كما تبرّأ إبراهيم من أبيه ؛ إذ تبيّن له أنّه

فوجدت الصّقالبة قد وقفوا أجمعين يكادون ينهشونني ، وعبد الرّحمن جالسٌ ، والسّيف بين يديه على عادته ، فلمّا أخذت مقعدي قال لي : ما حملك على ضرب فلانٍ وهتك ستره ؟

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنّما أنا عينٌ من عيونك ، وعدّةٌ من عددك ، أنصح في سلطانك ، وأذبّ عنك من أراد إدخال الوهن عليك فيه ، وما كان بيني وبين فلانٍ ما يوجب التّعدّي عليه ، ولا انتصرت منه لنفسي بل النّصرة كانت لك ؛ لأنّك ولّيتني القضاء ، وقدّمتني للنّظر في أحكام المسلمين ومظالمهم ، وتغيير ما لا يجب تركه من المنكر ، وما مررت إليه وحدي فيسعه القول بأنّي ظلمته وتعدّيت عليه ؛ بل كان معي الفقهاء أهل الشّورى ، وما صنعت شيئًا إلّا عن رأيهم ، فالذي يصيبني يصيبني وإيّاهم ؛ لتأييد الحقّ والقول به .

ثم حكيت له قصّة المسجد وجيرانه ، وإعذاري إلى الفتى وما لقينا به ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، فلمّا نظرت إلى مسجدٍ حدله فلانٌ[1] في مصرك الذي أنت الخليفة فيه مهابًا ، وسمعت أنّ مسجد سلمة بن عبد الله ببلاد الرّوم معظّمًا ، أردت أن أكشف للنّاس بفعلي أنّك لا ترضى ممّا فعله فتاك ، وإنّ إنكاري من إنكارك ، وعن علم مذهبك في الحقّ .

---

(١) هكذا قرأنا العبارة ، وربما تحتمل غير ذلك ، ومعنى حدله : أيْ : ظلمه ولم يعْدل فيه . فالحدْل : ضدّ العدْل . يقال : حدل فلانٌ عليّ . أيْ : ظلمني . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٣/ ١٣٦٦] .

فلهذا صنعت ما صنعت ، وأقمت نفوس الفقهاء الذين شوّفتهم[1] أنت بنفوذِ قولِهم عليك وعلىٰ أهلِ مماكتِك . فأمّا ما ركبه [ق/١٥٨/و] مِنّي وقابلني به ؛ فموضوعٌ عنه ، ولو لقِيني به في الخلاء مفردًا ؛ ما عاقبته عليه ، ولغفرت ذلك له ؛ لِمنزلتِهِ مِن خِدمةِ أميرِ المؤمِنين .

فلمّا سمِع مِنّي هذا سرِّي[2] عنه ، وقال جزاك الله خيرًا ، ومتّعنا بِحسنِ نظرِك ، انصرِف في حِفظِ اللهِ .

ثم أخذ السّيف مِن بين يديهِ وحمل به علىٰ الصّقالِبة ، وقال لهم : إنِ اجتمع مِنكم اثنانِ بعد هذا ؛ ضربت رِقابكم ، اذهبوا فعليكم العفاء[3] ، . . .[4] أن تلبِسوا عليّ وتوقِعوني فِيما لا يصلح .

قال القاضِي : فخرجت مِن عنده ولقِيت وصِيفًا مِن وصفاءِ ولِيِّ العهد ، فقال لِي : أنا أنتظِرك ووليّ العهد مرتقِبٌ لِأمرِك ، فانهض إليه ، فنفسه وجِلةٌ[5] مِن جِهتِك ، فمضيت معه حتىٰ دخلت عليه ، فوجدت أثر الإشفاقِ بادِيًا علىٰ وجهِهِ ، فقال لِي : ما وراءك ؟ فواللهِ ما خِفت عليك منه قطّ

---

(١) أيْ : أظْهرْت مِن علوِّهم . فالتّشوّف : هو العلوّ . يقال : تشوّف فلانٌ للشّيء . إذا ارْتفع له . ويمْكِن أن يكون صواب الكلمة : « شرّفْتهم » . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٦/ ٣٥٩٠] .

(٢) أيْ : كشِف عنه غضبه أو همّه . يقال : سرِّي عنه الغضب ؛ إذا كشِف . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٥/ ٣٠٦٠] .

(٣) أي : الهلاك وذهاب الأثر . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ٢٦٦/ مادة : عفا] .

(٤) مقدار كلمة أو كلمتينِ غير واضحتينِ لنا .

(٥) أيْ : خائِفةٌ . يقال : إنّني منه واجِلٌ : أيْ : خائِفٌ . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [١١/ ٧٠٨٠] .

خوفي اليوم مِمّا رأيت ميله مع القوم .

قال : فقلت له : وجدت رجلًا مؤمنًا[1] أتقىٰ للهِ مِنك ، ثم حدّثته الحديث . فحمد الله علىٰ ما كان ، وخرجت عنه » .

في تجريده النّصيحة أمام ذوي السّلطان

وله مِن مِثل هذا كثيرٌ ، إلّا أن هاتينِ القِصّتينِ أشهر ما جرىٰ له في جِهةِ السّلطانِ ، وتجريدِ النّصيحة لهم ، إلىٰ ما جرىٰ له مع ولِيِّ العهد في أمرِ حسداي اليهودِيِّ[2] ونصحِهِ له فيه ، وحضر علىٰ . . .[3] ، وتسخّطه ذلك منه ، حتىٰ حجبه في بعضِ الأوقات مدّةً طوِيلةً لم يوصّله إلىٰ نفسِهِ ، ولم تكفّ القاضِي عزِيمته ، فلمّا جدّ انكسر ولِيّ العهدِ ، ونقصت منزِلة حسداي عنده ، ولم تزل منزِلة اليهودِيِّ تنحطّ حتىٰ قبِض إلىٰ لعنةِ اللهِ .

الإشارة إلى قصّة القاضي مع حسداي اليهودي

وللقاضِي فيه قصِيدةٌ معروفةٌ ، أزرىٰ[4] فيها علىٰ الوزراء وسمّاهم واحدًا

---

(١) يقْصِد به الخليفة .

(٢) هو : حسْداي بن إسْحاق اليهودِيّ الطّبِيب الوزِير ، كان مِن أحْبارِ اليهودِ ، متقدِّمًا في عِلْمِ شرِيعتِهِم ، نال حظْوةً عند الحكم بن عبد الرّحْمن النّاصِرِ لِدِينِ اللهِ أمِيرِ المؤْمِنِيْن بالأنْدلس ، فاسْتوْزره الحكم وكان طبِيبه الخاصّ ، وقد جلب إلىٰ مكْتبةِ الحكمِ كثِيرًا مِن ذخائِرِ التّراثِ اليهودِيِّ بالمشْرِق . وحسْداي هذا هو جدّ الوزِير الأدِيب الكاتِب المسْلِم : أبي الفضْل حسْداي بن يوسف بن حسْداي بن إسْحاق . ينظر : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة [ص/٤٩٨] . و« قصة الحضارة » لويليام جيمس ديورانت [١٣/ ٢٨٥] . و[١٤/ ٥١] ، و« المستشرقون » لنجيب العقيقي [١/ ٩٥] . و« دولة الإسلام في الأندلس » لمحمد عبد الله عنان [١/ ٥٠٦ـ٥٠٧] .

(٣) هنا كلمة لم تتّضِح لي .

(٤) أيْ : عاب . يقال : فلانٌ يزْرِي علىٰ النّاس . أيْ : يعِيبهم . وقد تقدّم التّعْرِيف بذلك .

واحدًا ، ووصف ذلّهم لحسداي ، ونِقمتهم...[1] ، وحِرصهم على السّطوة[2] به ، وبعثهم على تجرِيدِ النّصِيحةِ في أمرِهِ .

وكان حسداي يتعرّض للقاضِي في الأيّام الذي[3] حجبه ولِيّ العهدِ ، ويلقاه في بعضِ الفصلان فيقول له : « وأنت هاهنا يا خِنزِير » . فيدخل حسداي وينصرِف القاضِي دون أن يصِل . حتى كان ما ذكرته قبل .

---

(١) بالأصل كلمة يمْكِن قراءتها : « لتاره » . أو « لساره » .

(٢) السّطْوة : هي شِدّة البطْشِ . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٧٦/ مادة : س ط و] .

(٣) كذا وقع بالأصْل : « الذي » . والجادّة أنْ تكون : « التي » . لِعوْدِ الضّمِير على : « الأيّام » ؛ لكن ما وقع هنا - إذا لم يكنْ سهْوًا مِن النّاسِخ - صحِيحٌ في العربيّة ؛ لأنّ تأْنِيث الاسْم هنا ليس حقِيقِيًا . فيجوز معه التّذْكِير والتّأْنِيث ، مع ترْجِيحِ التّأْنِيث . أو يكون مِن بابِ الحمْل على اللّفْظ بالنّظر إلى مفْردِه : « يوْم » . فيكون المعْنى هنا : « في اليوْم الذي » . وقد تقدّم نحو ذلك والتّنْبِيه عليه .

كيف كانت سيرته وما آخذه في نفسه في مرضه، ونافلته، ونظره، ونشره للعلم[1]

طرف من عبادته وصلاته

قال أبو عمر: أخبرني حكمٌ[2]، وسمِعت بعضه مِن أخِيهِ سعِيدٍ[3]، ومِن طائفةٍ مِن قرابتِهِ، قالوا: كان ملازِمًا لِشهودِ الصّلواتِ الخمس في المسجِد، لا تفوته فيه صلاةٌ، إلّا أن تمنعه مِن ذلك عِلّةٌ أو مغِيبٌ.

وكان يتخيّر الصّلاة في الجماعة حيث كان.

وكان يعتقِد[4] وجوب الصّلاةِ في الجماعة فرضًا على مذهبِ داود بن علِيٍّ[5].

---

(١) بالرفع عطفًا على «سِيرته» وكذا ما بعْده، ويجوز فيه الجرّ عطفًا على المجرور قبْله.

(٢) هو: أبو العاصِي حكم بن منْذِر بن سعِيدِ بن عبد الله بن عبد الرّحْمنِ بن قاسِم بن نجِيحٍ، وهو ولد القاضِي منْذِرِ بن سعِيدٍ. روى عن: أبِيهِ، وجماعةٍ غيره. وروى عنه: ابن عبد البرّ. توفِّي في نحْوِ سنة: (٤٢٠هـ). ينظر ترجمته في: «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» لابن بشكوال [ص/١٤٦]. و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قطْلوْبغا [٣/ ٤٩٠-٤٩١].

(٣) هو: أبو عثْمان سعِيد بن منْذِر بن سعِيدِ بن عبد الله بن عبد الرّحْمنِ بن قاسِم بن نجِيحٍ، وهو ولد القاضِي منْذِرِ بن سعِيدٍ. روى عن: أبِيهِ، وجماعةٍ غيره. وروى عنه: ابن عبد البرّ. توفِّي مقْتولًا على يدِ البرابرة في سنة: (٤٠٣هـ). ينظر ترجمته في: «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» لابن بشكوال [ص/٢٠٨].

(٤) في الأصل: «يعتفر». ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) يعني: شيخ الإسلام الأصبهاني أبو سليمان الظاهري الإمام المشهور.

معاهدته القرآن ووِرده في القراءة

وكان إذا صلّىٰ الصّبح انصرف إلىٰ دارِه ، فيؤتىٰ بجزءٍ مِن القرآن مِن الأجزاء الموقّفة في المسجِد ، فيوضع بين يديهِ مِن تحزيبه[1] اثنتي عشرة ، فلا يقوم مِن مقعدِهِ حتىٰ يقرأ الجزء ، فإذا فرغ أطبقه ، وسأل عن اجتماعِ النّاس وأهلِ الخصومات ، فإذا أخبِر باجتماعِهم ؛ خرج إليهم ، وجلس للحكم في شبّاكٍ كان في أسطوانةٍ[2] ، ومرّةً في المسجِد علىٰ كثرةِ الخلق وقِلّتِهم ، وربّما حكم في بيتِهِ ، ودخل النّاس عليه فيه .

مشاورته الفقهاء مع أخواله في بيته

وأكثر ذلك إنّما كان عند جمعِهِ الفقهاء لِلشّورىٰ ، وكان يجمعهم [ق/١٥٨/ظ] في بيتِهِ ، ويشاوِرهم فِيما يجِبّ مشاورتهم فيه ، فإذا تمّ مجلِسه وانقضىٰ ؛ دخل بيته فصلّىٰ صلاةً طوِيلةً ، لا أحدّ قدرها بِأكثر مِن هذا ، فإذا فرغ منها صار إلىٰ نومةٍ كان ينامها ، يقوم منها قبيل الظّهر ، ثم يدعو بالغداء فيأكل ، وإنّما كانت له أكلةٌ في اليوم ذلك الوقت لا تعدوه ، وأحسبه كان يمنعه مِن إدمانِ الصّومِ مانِعٌ .

---

(١) أي : أقْسامه . يقال : حزّب القرآن ؛ إذا قسّمه أحْزابًا يقْرأ أحدها كلّ يوْم . ينظر : « المغرب في ترتيب المعرب » للمطرّزي [١/ ١٩٩] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٤٨٤] .

(٢) الأسْطوانة ـ بِضمّ الهمْزة والطّاء ـ : هي السّارِية ، تبْنىٰ مِن الحِجارة ، وشكْلها شبِيهٌ بالعمود . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٢٧٦/ مادة : س ط ن] . ينظر : « معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٩٣] .

أحواله في المسجد من صلاة وسماع ومذاكرة

فإذا فرغ مِن الأكل تهيّأ للصّلاة ، وخرج إلىٰ المسجِد ، فيتنفّل فيه حتىٰ تقام الصّلاة فيصلّي مع الإمام ، فإذا انقضتِ الصّلاة ركع بعدها ركعتينِ .

فإن كانت عليه دولة السّماعِ[1] ؛ حوّل ظهره إلىٰ القِبلة ، واجتمع التّلامِيذ حوله ، وقرِئ عليه في المسجِد ، وربّما انصرف إلىٰ دارِهِ وقرأوا عليه في بيتِهِ .

وإن جلس في المسجِد صلّىٰ العصر ، فإن كانتِ الدّولة متمادِيةً بعد العصر لِأولئك أو لغيرهم ؛ جلس بعد الصّلاة حتىٰ تنقضِي الدّولة ، وإن كان في بيتِهِ خرج للصّلاة في المسجِد ، ثم رجع معهم حتىٰ تنقضِي حاجتهم .

وإن كانتِ الدّولة منقطِعةً عند صلاةِ العصر ؛ انصرف إلىٰ دارِهِ واستلقىٰ علىٰ ظهرِهِ أكثر أيّامِهِ ، وجلس وأخذ كِتابًا مِن كتبِهِ ، يطالِع حتىٰ يسمع الآذان بالمغرِب .

وإن لم يكن عليه دولة سماعٍ بعد الظّهر ولا بعد العصر ؛ صلّىٰ الظّهر في المسجِد ، ثمّ قام يتنفّل فيه إلىٰ أن يصلِّي العصر ، ثم ينصرِف إلىٰ بيتِهِ ، فيطالِع الكتب كذلك إلىٰ المغرِب ، وربّما يتنفّل بين العِشاءينِ .

وربّما جلس مع جِيرانِهِ مِن بعدِ صلاةِ المغرِب إلىٰ أن يصلِّي العِشاء الآخِرة ، وتحدّث معهم وسألهم عن أمورِهِم ، وآنسهم بذلك .

---

(١) أيْ : الجلسة للرواية والسماع . والدّولة جمْع : دول . وجرىٰ إطلاقها في تصاريف جماعة من أهل الأندلس بمعنىٰ الدرْس والجلوس لمدارسة العلوم . ومنه قول أبي القاسم بن فرْقد في حق أبي بكر ابن صاف : « كان يحدِّثنا ـ متعجِّبًا مِن أمْرِه ـ أنه كان في أوّلِيتِهِ لا يفوه عند سماع الدّول بِبنْت شفة . . . إلخ » . ينظر : « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للمراكشي [٤/٢٥٨] . مع التعليق عليه .

صرامته في الحكم والقضاء بين النّاس

وكان يحدِّثهم بما يدور له مع السّلطان ، وما يلقاه مِن مقارعةِ[1] ذوِي الخدم ، وكِبارِ رِجالِ السّلطانِ في أحكامِهِ ، وصعوبةِ تنفيذِ الحقِّ عليهم .

فإن أخبره أحدٌ مِن جِيرانِهِ بحاجةٍ تعِنّ له أو لغيره ـ مِمّن يرغب عونه فيها وتأييد الحقِّ ـ ؛ أخذ بِيدِهِ فيها ، وجرّد العِناية بالحقِّ حتىٰ تعلو وتظهر .

وإذا كانتِ القضِيّة لغير المخبِر بها ؛ قال له : جِئنِي بالرّجل وابعث به إليّ .

فيستفهِم عن سببِهِ ويقِف علىٰ جمِيعِ أمرِهِ ، ثم يجِدّ في عونِهِ .

وما زال عالِيًا ظافِرًا في كلِّ ما حاوله مِن ذلك ؛ لِصِحّةِ نِيّتِهِ ، وسلامةِ نفسِهِ ، وحِرصِهِ علىٰ نصرِ المظلوم .

عادته في قيام اللّيل وخروجه للصّلاة

وكان إذا انصرف مِن صلاةِ عِشاءِ[2] الآخِرةِ ؛ أوىٰ إلىٰ فِراشِهِ ، فينام نومةً قد أخذ بها[3] نفسه ، ثم يقوم فيتوضّأ ويصلِّي بقِيّة ليلِهِ في كلِّ ليلةٍ ، إلّا أن

---

(١) أي : مغالبة . وهو مجازٌ . يقال : قارع الرّجل خصْمه بالحجّة . أيْ : ردّ علىٰ بالدّلِيل وغلبه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/٤٩٩/ مادة : ق ر ع] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/ ١٨٠١] .

(٢) كذا وقع بِالأصْل بِلفْظِ : « عِشاء » . منكرًا بِدونِ الألِف واللّام ، مضافًا إلىٰ صِفتِهِ . والجادّة أنْ تكون العِبارة : « صلاةِ العِشاءِ الآخِرةِ » . وما وقع هنا ـ إذا لم يكنْ سهْوًا مِن النّاسخ ـ له وجْهٌ في العربِيّةِ ؛ وهو أنْ يكون مِن بابِ : إِضافة الموْصوف إلىٰ صِفتِهِ ؛ كقوْلِ بعضِهِم : « صلاة الأولىٰ » ، و« مسْجِد الجامعِ » ، و« جانِب الغرْبِيِّ » . وينظر بيانها وضرْب الأمْثِلةِ عليها في : « شرح المفصل للزمخشري » لابن يعيش [٢/ ١٦٨] . و« تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد » لناظر الجيش [٧/ ٣١٨٨] . و« حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك » [٢/ ٣٧٦] .

(٣) ويمْكِن قراءتها : « أخذتْها » .

أول من يأتي المسجِد .

وربّما سبق بِخروجِهِ المؤذّن ، فيخرج أوّل الفجر ، فإن وجد المسجِد يمنعه مِن ذلك مانع مرضٍ شدِيدٍ ، ثم يكون مفتوحًا دخل ، وإلّا استلقىٰ في دكّانِ المسجِدِ[1] ، أو ضرب علىٰ القيِّمِ[2] باب دارِهِ ، وكان هو الذي ينبِّهه ويحرِّكه إلىٰ الأذان .

فهذه كانت سِيرته رحمهُ اللهُ في نفسِهِ ، لم يخل عنها حتىٰ توفِّي ولم يسأم .

قصّة في تواضعه وتمنّيه الشّهادة

ولقد حدِّثت : « أنّ رجلًا وجده مستلقِيًا في بعضِ الأسحارِ علىٰ دكّانِ المسجِد ، فعرفه فجلس إليه ، وكان الرّجل استنجد إليه ، أو لِحاجةٍ عرضت له ، فلمّا رآه مال إليه وسلّم عليه ، ثم قال له : سيِّدِي ، إنّك لتغرِّر[3] بِخروجِك في مِثلِ هذا الوقت منفرِدًا ، وأنت أعظم الحكّام ، وفي النّاس : المحكوم عليه ، ومنهم [ق/١٥٩/و] الرّقِيق الدِّينِ ، والضّعِيف العقلِ ، فلو أسفرت[4] بِخروجِك ؛ لكان أقرب إلىٰ السّلامة . يعرِّض[5] له ويخوِّفه أن قد يتصدّىٰ[6] له من يغتاله .

---

(١) الدّكّان : هو الدّكّة المبْنِيّة للجلوس عليْها . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٢/١٢٨/ مادة : دكن] .

(٢) أيْ : من يقوم علىٰ المسْجِد ويرْعاه .

(٣) أيْ : تعرِّض نفْسك للهلاك . فهو مِن التّغْرِير . يقال : غرّر بِنفْسِهِ ؛ إذا أوْقعها في الغرر . وهو أنْ يعرِّض الرّجل نفْسه للمهْلكة . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٨/٤٨٩١] . و« مجمع البحرين ومطلع النيرين » للطريحي [٣/ ٤٢٣] .

(٤) هو مِن الإسْفار . يقال : أسْفر الصّبْح ؛ إذا وضح وأضاء وظهر . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٥/٣١١١] . « معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/ ١٠٧٢] .

(٥) هو مِن التّعْرِيض ، وقد يقْرأ بالتخفيف : « يعْرِض له » .

(٦) في الأصل : « تصد » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

فقال له : يا أخِي وأنّى لِي بِمثلِ هذه المنزلة ! وأنّى لي بالشّهادة ! ما أخرج تعرضًا للتّغرير[(١)] ، ولكِنّي أخرج متوكّلًا على الله إذ أنا في ذمّتِه ، وعند بيتٍ مِن بيوتِهِ ، أتحرّم[(٢)] به مِمّن يريد ضرّي ، وأعلم أنّ قدره لا محِيد[(٣)] عنه ، ولا وزر[(٤)] دونه ، وألتمِس في هذا الموضِع الخلوة بِنفسِي ، والاستِراحة في بيتٍ أذِن الله بِرفعِهِ لِيذكر فيه »[(٥)] .

من كراماته أثناء رحلته للحجّ

قال أبو عمر : أخبرنِي حكم بن منذِرِ بن سعِيدٍ[(٦)] قال : أخبرني أبِي أنّه : « حجّ مع قومٍ رحّالة[(٧)] ، فانقطعوا وأعوزهم[(٨)] الماء في الحِجاز ،

---

(١) أيْ : للهلاك . يقال : غرّر الرجل بِفلانٍ ؛ إذا عرّضه للهلاك . وقد سبق آنفًا .

(٢) أيْ : أحْتمِي . يقال : تحرّم منه بِحرْمةٍ ؛ إذا تحمّى وتمنّع بذِمّةٍ ، أو صحْبةٍ ، أو حقٍّ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٣١/ ٤٦٢/ مادة : ح ر م] . و« المعجم الوسيط » [١/ ١٦٩] .

(٣) أيْ : لا مهْرب . يقال حاد عن الشّيء يحِيد ؛ إذا مال عنه وعدل وفرّ وهرب . ومنه قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق : ١٩] . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٨/ ٤٧/ مادة : ح ي د] . و« مجمع البحرين ومطلع النيرين » للطريحي [٣/ ٤١] .

(٤) أيْ : لا ملْجأ . فالوزر ـ بِفتْحتيْنِ ـ : هو الملْجأ . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٦٥٧/ مادة : وز ر] .

(٥) ذكر هذه القصة باختصار : الحافظ الذهبي في : « سير أعلام النبلاء » [١٦/ ١٧٥ـ ١٧٦] .

(٦) هو : أبو العاصِي ولد القاضِي منْذِرِ بن سعِيدٍ صاحب الترجمة . وقد تقدّمتْ ترْجمته .

(٧) جمْع : « رحّال » . أيْ : كثِير الرّحِيلِ في البِلاد . ينظر : « معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/ ٨٧١] .

(٨) مِن : « الإِعْواز » . وهو الفقْر . يقال : عوِز الرّجل . أيْ : افْتقر . وأعْوزه الشّيء ؛ إذا احْتاج إليه فلم يقْدِرْ عليه . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ٢٢١/ مادة : ع وز] .

وتاهوا في غيرِ طريقٍ ، وأيقنوا بالهلكة .

قال : فأوينا إلىٰ غارٍ في جبلٍ ، فدخلنا في ظِلِّه ننتظر المنيّة[1] . قال : ووضعت رأسي ملصقًا بالجبل ، فإذا بحجرٍ كان في قبالتِه[2] ، فعالجته فنزعته ؛ فانبعث مِن تحتِه ماءٌ عذبٌ ، أحيانًا الله تعالىٰ به ، فأخذنا منه ما بلّغنا إلىٰ الطَّرِيق »[3] .

وصف قراءته القرآن

وكانت قِراءته في تنفّلِه الأغلب عليه فيها الهمز ، حتىٰ ما كان يفهمه سامِعه ، فسأله عن ذلك بعض النّاس ، وقال له : تعلم ما جاء في التّنزيل مِن الفصل ، وأنت تهمِز جهدك ! فقال له : واللهِ يا بنيّ ، لو قرأت منه آيةً لا أعلم بتفسيرِها ، ومعناها ، وما أنزِلت فيه ؛ ما همزته هذا الهمز ، وما يخفىٰ عليّ منه إلّا ما لم يفِضِ الله تبارك وتعالىٰ للعِباد فضله ، لكِنّي أهمِز استِكثارًا مِن الحسنات ، علىٰ ما جاء في الحدِيث : « **إنّ فِي كلِّ حرفٍ عشر حسناتٍ** »[4] .

---

(١) أيْ : الموْت .

(٢) أيْ : تجاهِه . يقال : جلس قبالته . أيْ : تجاهه . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٨/٥٣٥١] .

(٣) ذكر هذه القصة باختصار : الحافظ الذهبي في : « سير أعلام النبلاء » [١٦/١٧٥-١٧٦] .

(٤) يشير إلىٰ ما : أخرجه : الترمذي في كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم/ باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر [رقم/ ٢٩١٠] ، وغيره من حديث : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا : « **منْ قرأ حرْفًا مِنْ كِتابِ اللهِ ؛ فله بِهِ حسنةٌ ، والحسنة بِعشْرِ أمْثالِها ، لا أقول الْم حرْفٌ ، ولكِنْ ألِفٌ حرْفٌ ، ولامٌ حرْفٌ ، ومِيمٌ حرْفٌ** » . قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .

استخفاؤه بالبكاء عند تلاوة القرآن

وقد كانت له أيضًا أوقاتٌ يقرأ فيها بالتّرتيل والتّدبّر ، حدّث عنه بعض ولدِهِ : « أنّه مضىٰ معه إلىٰ جنانٍ[1] كانت له بِبرِّيّةِ[2] ورتش[3] بالسّهلة[4] ، ولم يصحبه غيره مِن ولدِهِ .

قال المحدِّث مِن ولدِهِ : فنزل بِغرفةٍ كانت بها لِأخِي الكبِير ، وكانت لِي غرفةٌ إلىٰ جنبِها ، كنّا نسكنها في أيّامِ العصِير[5] ؛ إذ كنّا ندخل إلىٰ الجنانِ ، فنزلت معه في غرفةِ أخِي ، وكنّا بها حتىٰ تعشّينا وصلّينا العِشاء ، فقال : امضِ إلىٰ غرفتِك ونم علىٰ فِراشِك ؛ فإنِّي أرِيد النّوم .

قال : فصِرت إلىٰ غرفتِي وبيننا حائِطٌ ، ونِمت علىٰ فِراشِي ، فانتبهت في بعضِ اللّيل فسمِعته يبكِي ، فقمت واختفيت حتىٰ[6] صِرت وراء بابِ الغرفة التي نِمت فيها ؛ فسمِعته يقرأ بِمهلٍ ، وترتِيلٍ ، ويردِّد الآية بعد الآيةِ ، ويبكِي

---

(1) جمْع : « جنّةٍ » . والجنّة : هي البسْتان . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٣٤/ ٣٧٤/ مادة : ج ن ن] .

(2) البرِّيّة : جمْع : « برارِي » . وهي الصّحراء . نسِبتْ إلىٰ البرِّ إذا كانت إلىٰ البرِّ أقْرب منها إلىٰ الماء . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [١٠/ ١٥٨/ مادة : ب ر ر] .

(3) هكذا رسمه الناسخ ! ولم نهْتدِ إلىٰ تمييزه .

(4) كذا وقع : « بالسّهْلة » . بالهاء . والمشْهور أنها بِدونها : « السّهْل » . وهو إقْلِيمٌ مِن أعْمالِ باجة . وكذا هو إقْلِيمٌ بإشْبِيلِيّة ، وكلاهما بالأنْدلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٣/ ٢٩٠] .

(5) أي : في موْسم قِطاف العِنب ، وهو فصْل الخريف . ينظر : « تكملة المعاجم العربية » لرينهارت بيتر آن دوزي [٤/ ٣٩/ مادة : عصر] .

(6) بالأصْل : « حتىٰ حتىٰ » . وهو سهْو مِن الناسِخ .

بكاءً شديدًا ، فسررت بذلك وفرحت به ، وعلمت أنّ له مِثل تلك الأوقات ، وأنّه يستخفي بها ويطلب فيها الخلوة » .

قال المحدِّث : « وأحسبه توخّى[1] ذلك في تلك اللّيلة ، فإنّي كنت ثقيل النّومِ جدًّا ، وكان يعرف ذلك مِنّي ، فرجعت مسرعًا لِئلّا يشعر ، وظننت أنّ الله تبارك وتعالىٰ قضىٰ بانتباهِي في تلك السّاعة ؛ لِيرِيَنِي ما أسرّ به ؛ إذ كنت أشتهِي له مِثل تلك الحال » . وكان ابنه هذا يؤثِر قِراءة التّرتِيلِ ، ويأخذ بها نفسه .

تعميره الأوقات بالعلم والتعبد والتقرب إلى الله

فهذه كانت سِيرته رضِي الله تعالىٰ عنه في نفسِهِ ، ومآخِذِهِ ، وتعبّدِهِ ، لم تمرّ عليه ساعةٌ مِن دهرِهِ إلّا وهو [ق/١٥٩/ظ] في أمرٍ يقرِّبه مِن ربِّهِ ، ويزلِفه[2] إليه ، إلّا في القلِيل الفذِّ لِما يلزم الإنسان مِن إقامةِ معاشِهِ وما لا بدّ له منه ، لم يضيِّع أوقات فرضِهِ ، ولا ساعاتِ نافِلتِهِ ، ولا ركن فيها إلىٰ الرّاحات ، ولا شاغل عنها بالفاكِهاتِ .

ولقد كان يمرّ إلىٰ هذه الجِنان المذكورة ، ويرحل إليها بِأهلِهِ مسترِيحًا فيها ومرِيحًا لهم ، فما كانت تتغيّر سِيرته فيها معهم كما ذكرته ، ولقد كان يكابِد ذلك في عِللِهِ وأمراضِهِ .

---

(١) أيْ : قصد أو تحرّىٰ . يقال توخّىٰ الرجل الشّيء ؛ إذا قصده أو تحرّاه . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [١١/٧١٠٣] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٣/٢٤١٧] .

(٢) مِن : « الزّلْفىٰ » . وهي القربىٰ . يقال : زلف الرّجل صدِيقه . أيْ : قرّبه وقدّمه . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٥/٢٨٢٦] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/٩٩١] .

أحواله بالعبادة في مرضه واشتداد علته

حكت عنه ابنته : أنه « اعتلّ عِلّةً ثقيلةً فمرّضته فيها ، وكانت زوجته في الجِنانِ مع بعضِ بنيها ، أحسبها كانت بها عليلةً ، واعتلّ هو بقرطبة فمرّضته ابنته ، قالت : فلمّا تخفّف قال في صحوةٍ[1] مِن النّهار في بعضِ الأيّام : أغلِقِ[2] عليّ باب البيتِ ، فإنّي أريد النوم ، واجلِسِي في الفصِيل[3] بين الدّارينِ ، فإن دعوتكِ سمِعتِ ، فإذا سمِعتِ المؤذّن بالظّهر فأنبِهِيني .

قالت : ففعلت ما أمرني به ، فلمّا سمِعت المؤذّن أتيت باب البيتِ وفتحته ؛ فوجدته جالِسًا ، فقال لِي : كنت قد استوحشت نفسِي لمّا حرِمت مِن الصّلاة هذه الأيّام ، فلمّا تخفّفت ؛ تشوّقت نفسِي إلى القرآن ، فقرأت منذ خرجتِ عنّي إلى السّاعة : نِصف القرآن ، ووجدت لِنفسِي خِفّةً زائِدةً بِحمدِ اللهِ ، ثم جدّد الوضوء وصلّى الظّهر » .

قالت : « وكان رحمهُ اللهُ يحدِّثنا بِمثلِ هذا مِن فِعلِهِ ؛ لِينشّطنا بذلك على فِعلِ الخير ، والرّغبةِ فِيه ، وأخذِ أنفسِنا به » .

---

(١) أي : إفاقته .

(٢) كذا وقع بالأصْل : « أغلِقِ » . بحذفِ ياءِ المخاطبة ، والجادّة أنْ تكون : « أغْلِقِي » . لكن ما وقع هنا - إذا لم يكنْ سهْوًا مِن النّاسخ - يخرّج على أنّ الأصْل : « أغْلِقِي » ، لكِنْ حذِفتْ ياء المخاطبة اجْتِزاءً بالكسْرة قبْلها ، والاجْتِزاء بالحركات عن الياء والواو والألِف : لغة هوازن وبعضِ العرب . وينظر في ذلك : « الكتاب » لسيبويه [١/ ٢٧-٢٨] ، و« الخصائص » لابن جني [٣/ ١٣٣-١٣٦ = باب في إنابة الحركة عن الحروف] ، و« اللباب في علل البناء والإعراب » للعكبري [٢/ ١١١- ١١٢] ، و« الإنصاف في مسائل » لابن الأنباري [١/ ٣٨٥- ٣٩١] .

(٣) المراد بالفصِيل هنا : الرّواق ، ودهليز الدار . ينظر : « تكملة المعاجم العربية » لرينهارت بيتر آن دوزِي [٨/ ٨١/ مادة : فصل] .

وممّا يعرف به فضله

زهده في الدنيا وتواضعه وتوكله على الله

أنّه لم يكن طالبًا للدّنيا ، ولا مواصلًا لأهلها ، ولا مداخلًا لملوكها في بدوِ أمرِهِ ، وإنّما قدِم مِن حجّهِ ولزم باديته التي خرج منها لأداءِ فرضِهِ ، وحجّ منها على قدميهِ ، لم يركب في سفرِهِ إلّا في الفذّ(١) ؛ لِعِلّةٍ لحِقته ، أو ضرورةٍ حتمته(٢) إلى ذلك ، وكان جلّ مشيِهِ على قدميهِ ؛ إذ كانت فيه حداثةٌ(٣) ، ورغبةٌ ، وقوّةٌ ، وكان قليل المالِ ، فأعطاه الله تعالى بِنيّتِهِ ، وبلّغه مِن ذلك أمله ، وقضى حاجته .

وقد ذكر في شِعرِهِ الذي خاطب به أهله مِن القيروان(٤) : ما دلّ على

---

(١) أي : في القليل . وهو هنا مجازٌ . فالفذّ : هو الواحِد . يقال : قد فذّ الرّجل عن أصْحابِهِ ؛ إذا شذّ عنهم وبقِي فرْدًا . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٣/ ٤٢٢/ مادة : ف ذ ذ] .

(٢) في الأصل : « ضمته » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والمعنى : أوْجبتْه . يقال : حتم عليه الأمْر حتْمًا ؛ إذا أوْجبه عليه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ١٢٠/ مادة : ح ت م] .

(٣) أيْ : جِدّةٌ ونشاطٌ . وهي هنا كِنايةٌ ، كأنّه وجد مِن نفْسِهِ قوّة الشّباب وحداثة السِّنّ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيّ [٥/ ٢٠٦/ مادة : ح د ث] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٤٥٣] .

(٤) القيْروان ـ بِفتْحِ القاف والرّاء ، بينهما قافٌ ساكِنة ـ : هي مِن المدن الكبْرى مِن بِلادِ المغْرِب في تونس . ينظر : « معجم ما استعجم » للبكري [٣/ ١١٠٥] . و« معجم البلدان » لياقوت الحموي [٤/ ٤٢٠] .

استِسلامِهِ للهِ ، وتوكّلِهِ علىٰ اللهِ ، وصِدقِ نِيّتِهِ ، وصميمِ طويّتِهِ ، وقوّةِ عزيمتِهِ .

وهي قصِيدةٌ معروفةٌ مشهورةٌ له .

كيف كان حاله بعد عودته من الحجّ

ولمّا انصرف مِن حجِّهِ ؛ لزِم بيته ، وانقبض عن النّاس عامةً ، وأتينا مسجِدًا في قريتِهِ علىٰ بابِ دارِهِ ، كان يصلِّي فيه بإخوانِهِ وجِيرانِهِ جمِيع الصّلواتِ ، ويؤذِّن لها ، وينفرِد في المسجِدِ عنهم في غيرِ أوقاتِ الصّلواتِ المكتوبة في كثِيرٍ مِن الأيّام ، وكان قد اقتطع مِن دارِهِ دويرةً[1] صغِيرةً ، وبنىٰ فيها بيتًا صغِيرًا .

أخبرنِي مِن أهلِهِ من دخل الدّويرة والبيت ، قال : « كان لا يخرج مِن تلك الدّويرة إلّا للصّلاة المكتوبة ، أو لِما لا بدّ له منه عند الضّرورة ، وكانت زوجته وأولاده ومن يعمِّر له أرضه في سائرِ دارِهِ ، كان يشتغِل بِما يعيِّنه له .

قال : وكان عند بنيانِ البيتِ قد ترك فِي الحِيطان مِن داخِلِهِ علىٰ قدرِ الأربعة أشبارٍ : رفًّا مستدِيرًا بِجمِيعِ حِيطانِ البيت مِن اللّبِن[2] ، عرضه قدرٌ يزِيد علىٰ الشِّبر ، حاشا موضِع جلوسِهِ ، وجعل كتبه رزمًا في ذلك الرّفِّ حوالِي البيتِ .

وكان إذا صلّىٰ الصّبح في مسجِدِهِ انصرف فدخل تلك الدّويرة ، وأقفل علىٰ نفسِهِ بابها ، فلا يخرج إلّا لِحاجةٍ وكِيدةٍ[3] ، أو صلاةٍ مكتوبةٍ ، ثم ينصرِف ،

---

(١) تصغير : دار .

(٢) اللّبِن ـ بفتْح اللام ، وكسْر الباء . ويقال : بكسْر اللام وسكون الباء ـ : هي التي تتّخذ مِن الطِّين ويبْنىٰ بها . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٤/ ٢٢٩ـ ٢٣٠/ مادة : ل ب ن] . و« المغرب في ترتيب المعرب » للمطرِّزي [٢/ ٢٤٠ـ ٢٤١] .

(٣) أيْ : أكِيدة . يقال : هذا شيءٌ وكِيد . أيْ : أكِيد . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [١١/ ٧٢٦٩] .

فإذا كان اللّيل وانصرف مِن العِشاء الآخِرة ؛ أوىٰ إلىٰ فِراشِهِ [ق/١٦٠/و] مع أهلِهِ ، ويقوم لِتهجّدِهِ في وقتِهِ الذي قد عرف به نفسه ، فيدخل تلك الدّويرة فيصلّي في البيت ، أو يخرج إلىٰ مسجِدِهِ ويتهجّد فيه .

اجتماعه بالزوار كل خميس

وكان يكون يومئِذٍ قومٌ خِيارٌ وأهل إرادةٍ مِن أهلِ الحجِّ ، وغيرهم مِن أهلِ الانقِباض ، وكانوا يقصِدونه في أيّامِ الأخمِسة(١) ، ويجتمِعون إليه في مسجِدِهِ ، يسألونه عن مسائِلِ دِينِهِم ، وعن أمورٍ مِن الزّهد والورع ، وكان بعد. . .(٢) مِن ذخائِرِهِ وقرباتِهِ ، وحِينئِذٍ ألّف كِتاب : « التّبيين عن مِثالِ اليقِين » ، فأخذوه عنه وسمِعوه منه ، وكان يذكّرهم به ويقرؤه عليهم يوم الخمِيس ، ونفع الله به .

خبره مع ولي العهد وصحبته له

وكانت هذه حاله حتىٰ جرىٰ ذِكره عند وليِّ العهد الحكمِ بنِ عبدِ الرّحمن أمِيرِ المؤمِنِين ، فقيل له : إنّ رجلًا مِن أهلِ الكوفة جلب كِتاب « العين » للخلِيل بن أحمد في اللّغة ، فتطلّعت إليه نفسه ونازعته إلىٰ رؤيتِهِ ؛ إذ وصِف له بالعِلم ، والانقِباض ، والتّبتّلِ(٣) ، فبعث فيه وأشخصه(٤) إلىٰ قرطبة ،

---

(١) جمع : « الخمِيس » . ويجمع أيضًا علىٰ : « أخمِساء » ، و« أخامِس » . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٦/ ٧٠/ مادة : خ م س] .

(٢) مقدار كلمة غير واضحة المعنىٰ ! ويمكِن قراءتها : « نملك » !

(٣) التّبتّل : هو الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ وإخلاص النيّة له . وأصل التبتّل من البتْل ، وهو القطع ، كأنه قطع نفسه عن الدنيا . ينظر : « شمس العلوم » للحِميري [١/ ٤٢٣] .

(٤) أيْ : أذهبه . يقال : فلانٌ شخص مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ . أيْ : ذهب . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/ ١٦٢/ مادة : ش خ ص] .

وأوطأه[1] إلى نفسه ، وفاتشه[2] على العلوم ، فوجده فوق ما وصف له ، فضمّه إلى الرّحيل إلى قرطبة ، فلم يكن له بالسّلطانِ طاقةٌ ، ولا قدر على الامتناع منه ، وخاف ما لم تزلِ العلماء تخافه ، فانطاع لِما يلزمِ العامّة مِن الانقياد لِسلاطِينِهم ، والسّمعِ والطّاعة لهم ، فابتلي بالسّلطان ، وامتحن بِخِدمتِهِ ، فاستشعر آثار الحقِّ ، على ما تقدّم ذِكره به في الكِتاب .

حكايته عن نفسه في نصرة المظلوم وقمع الظالم

ولقد حدّث عنه ثِقةٌ مِن أهلِهِ : أنّه قال له : « رأيت هذه الأحكام وأنا أعدّها بلِيّةً عظِيمةً ، ولم أكن خضتها[3] ، فأعانني الله عليها ، ونصرت المظلوم ، وقمعت الظّالِم[4] ، ولم يأخذني في اللهِ لومة لائِمٍ بِجهدِي وطاقتِي ، فأرجو أن يكون لِي فيها أجرٌ إن شاء الله تعالىٰ ، فما تعرّضت[5] قطّ بِهتكِ حرمةٍ حرّمها الله ، ولا أعنّا عليها من أراد انتِهاكها ، ولقد ذببت[6] عن شرائِعِ اللهِ جهدِي ، وسخيت فيها بِنفسِي ، ووطّئت[7] في كثيرٍ مِن الأوقات على الهلكة ، وتفضّل الله عليّ بالسّلامة ، وأرجو أن نتبّع كذلك سعة المغفِرة ، فلا معصوم إلّا من عصِم » .

---

(١) أيْ : قرّبه . كِنايةٌ عن دنوِّه منه .

(٢) مِن : المفاتشة . وهي المباحثة . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٨/ ٥٠٩٥] .

(٣) في الأصل : « خطبتها » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) أيْ : قهره وأذلّه . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [٢٢/ ٧٥/ مادة : ق م ع] .

(٥) في الأصل : « تعوضت » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) أيْ : دفعْت ومنعْت . يقال : فلانٌ يذبّ عن حرِيمِه ذبًّا . أيْ : يدْفع عنهم . وقد تقدّم التّعْريف بذلك .

(٧) أي : تهيّأت . ويمكِن قراءتها : « ووطأت » . ينظر : « الطراز الأول » لابن معصوم [١/ ٢٣٥] .

وكانت له مع هذا الورعِ والعملِ : أخلاقٌ جميلةٌ ، ودعاباتٌ[1] حسنةٌ ، ومعاملةٌ لإخوانِهِ بالأدب والخضوع .

قال أبو عمر : أخبرني خلف ابن أبي جعفرٍ[2] قال : « كنت عند أبي إبراهيم الفقيهِ[3] ونحن نسمع عليه ؛ إذ دخل بعض أعوانِ منذرٍ القاضِي ، فرفع إليه كِتابًا مطويًا ، وقال له : القاضِي يقرئ السّلام ، ويريد أن يعتنِي فِيما سألك عنه . فقال له : أمهلنِي فيها أيّامًا ، فإنِّي بِحالِ شغلٍ . فقال له الغلام : نعم سيِّدِي ، بهذا أمر[4] القاضِي أن آخذ عفوكم ، ثم خرج . فقال لنا أبو إبراهيم : القاضِي جمِيل المعاملةِ ، كرِيم الأخلاقِ ، رقِيق الآدابِ .

كنّا في الأيّام عند ابن عِيسىٰ القاضِي رحمهُ اللهُ ، وكان جمعنا الشّورىٰ ، فأتىٰ أبو الحكمِ ـ وكان صاحِبنا ومشاورًا معنا ، وكان صاحِب الصّلاةِ بالزّهراء ـ فوجد المجلِس قد غصّ[5] بالفقهاء ، فلم يجِد مجلِسًا إلّا في آخِرِ

---

(١) جمْع : « دعابةٍ » . وهي الممازحة . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٤/ ٢١٠٢] .

(٢) هو : أبو القاسِمِ خلف بن أحْمد ابن أبي جعْفرٍ الأمويّ القرْطبِيّ . المتوفّىٰ سنة : (٣٩٣ هـ) . ينظر ترجمته في : « جذوة المقتبس » للحمِيدي [ص/ ٢٠٥ـ ٢٠٧] . و« بغية الملتمس » للضبي [ص/ ٢٨١ـ ٢٨٢] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٨/ ٧٢٦] .

(٣) هو : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرّة التجيبي ، من أهْلِ قرطبة . وأصْله من طليْطلة . كان حافِظًا للفِقْه علىٰ مذْهب مالك وأصْحابه ، متقدِّمًا فيه . وكان : مشاورًا في الأحْكام ؛ صدْرًا في الفتيا . توفىٰ سنة : (٣٥٢هـ) . ينظر : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ٨٧ ـ ٨٨] . و« جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس » للحميدي [ص/ ١٦٨] .

(٤) بالأصْل : « أمره » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) أيْ : امْتلأ . يقال : غصّ المكان بالنّاس . أيْ : امْتلأ بهم وضاق عليهم . ينظر : « المعجم الوسيط » [٢/ ٦٥٤] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [٢/ ١٦٢٢] .

البيت ، فسلّم وجلس حيث انتهىٰ به المجلِس ، وكان ابن أبي عِيسىٰ رقِيق الأدبِ أيضًا ، فنظر إليه فعزّ عليه موضِعه ، ثم كرِه [ق/١٦٠/ظ] أن يقِيم غيره مِن مقعدِهِ ، وأحبّ أن يقرّب أبو الحكم منه ، فقال : بِأصحابِنا أبو الحكمِ حفِظه الله لا يسرّني موضِعه ، وقد فعل ما يشبِهه وجلس حيث أجلسه عِلمه ، وترك التحامل الذي لا يلِيق بِمِثلِهِ ، لكِنّي أتحفّز[1] له مِن بعضِ موضِعِي ، ويتحفّز من يلِينِي حتىٰ يجلِس إلىٰ جنبِي فإنّي أحِبّ ذلك .

فقال له أبو الحكم : جزاك الله يا سيِّدِي خيرًا علىٰ بِرّك وتكرمتِك[2] ، وكلّ مجلِسك رفِيعٌ ، وقد قلت بِما يشبِه أدبك ، ومكارِمك ، والمعروف مِنك ، ولا عدِمناك ، وأنا أحِبّ مِنك أن تعفِيني مِن التّضيِيق عليك وعلىٰ من يلِيك . ولم يقم مِن مجلِسِهِ حتىٰ انقضىٰ المجلِس .

وكان إذا سمِع سِجالًا وحضره جوابٌ مسكِتٌ ؛ تكلّم به ، لا سِيّما إذا كان عاضِدًا[3] للحقّ ، أو أدعىٰ لباطِلٍ » .

قال أبو عمر : حدّثني أبو محمّدِ ابن أسدِ البزّاز[4] قال : « شهِدت منذِرًا

---

(١) أيْ : أتوسّع . يقال : تحفّز في مجْلِسِه لِمن أتاه . أيْ : تهيّأ ووسّع له . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [١٥/ ١١٣/ مادة : ح ف ز] . و« المعجم الوسيط » [١/ ١٨٤] .

(٢) في الأصل : « ترمتك » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) أيْ : ناصِرًا له . يقال : عضدْت الرّجل عضْدًا . أيْ : صِرْت له معِينًا وناصِرًا . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٤١٥/ مادة : ع ض د] .

(٤) هو : أبو محمّد عبد الله بن محمّدِ بن عبد الرّحْمنِ بن أسد الجهنِيّ الأندلسِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٩٥هـ) . له رِوايةٌ عن جماعةٍ مِن أهْلِ العِلْم ، وحدّث عنه : أبو عمر ابن عبد البرّ ، وهو مِن كِبارِ شيوخِهِ . ينظر ترجمته في : « جذوة المقتبس » للحميدي [ص/ ٢٥١ـ ٢٥٢]. و« بغية الملتمس » للضبي [ص/ ٣٣١ـ ٣٣٢] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٨/ ٧٥١] .

القاضي في مجلسه يومًا وعنده ابن القوطيّة[1] ، [قال][2] : الصّبيّ منهم إذا استفتح الكلام نطق بالفصاحة . فقلت له : يسمعها من أبويه فينطق كما يسمع . فقال : بلى ، هو مطبوعٌ على ذلك . فقلت له : ما سمعت هذا قبل . فكثر في ذلك وجعل ينحنح[3] له ، فلمّا سمعه القاضي لم يجبه ، وقال لي : يا أبا محمّدٍ ، أنت تذهب إلى قولِ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل : ٧٨] . فسكت ابن القوطيّة ولم يحر[4] جوابًا » .

وقد حكى[5] عنه أيضًا : « أنّه ناظره ابن القوطيّة يومًا في الفرق بين المسلِم والمؤمِن ، وأنّ المسلِم غير المؤمِنِ ، والمؤمِن غير المسلِمِ ، فلمّا كثر عليه قال له القاضي : يا أبا بكرٍ ، الويل لِمن لم تكن عائِشة أمّه . فسكت وانقطع » .

قال أبو عمر : ومِمّا يذكر عنه مِن صلابتِهِ في الحقِّ : « أنّ جعفر الفتى الحاجب[6] ، أراد أن يبتاع دار أخِي نجدة بن حسنٍ ، وكان

---

(١) بالأصل : « القوطبة » ! والصواب ما أثبتناه ، وهو محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز ، المعروف : بابن القوطيّة . كان إمامًا في العربية ، وله كتاب في « الأفعال » لم يؤلّف مِثْله . توفى سنة : (٣٦٧هـ) . ينظر : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [٢/٧٨] ، و« جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس » للحميدي [ص/٧٦] .

(٢) سقط مِن الأصل ، والسياق يقتضيه ، ولعل كان قبْله وبعْده كلماتٌ أخرى !

(٣) نحْنح الشّخص : ردّد في جوْفه صوتًا كالكحّة استرواحًا . ينظر : « المعجم الوسيط » [٢/٩٠٧] .

(٤) أيْ : أيْ لمْ يرْجِع ولمْ يردّ . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [١/٤٥٨/ مادة : حور] .

(٥) أي : أبو محمّدٍ ابن أسدٍ .

(٦) هو الحاجِب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي بربري الأصل ، تقلّد المناصِب في=

سفيهًا[1] ، فبعث في وصِيِّهِ[2] وطالبه أن يبيع الدّار منه ، ولقد دلّه بالقاضِي وما يخشاه منه مِن التّعقّب للآمِر ، وإنزالِ المكروهِ به .

فقال له : بِع عليه مِنّي ، وتكتب في الابتِياع أنّك بِعت لتعتاض له[3] ما هو أرشد وأعود ، فلها قِيمةٌ تباع له فيها ضِياعًا[4] ، فإذا نفذ هذا لم تخف تعقّب القاضِي ، فأنا أذبّ عنك ، فلاطفه حتىٰ خرج عنه وأتىٰ القاضِي فأخبره ، فقال له : كم أعطاك بها ؟ فذكر عددًا ، فقال له القاضِي : ولا في قرامِدِها[5] ، أنزِلِ السّقوف ولا تعتاض[6] وبِعها ، وتبقىٰ السّاجة[7] فتقطع عراضًا[8] ، تقوم

= أيام الحكم المستنصر ، ثم أصبح حاجبًا لابنه هشام ، فتغلّب عليه منافِسه ابن أبي عامر ، ورماه في السجن إلىٰ أن مات فيه سنة : (٣٧٢هـ) . ينظر : « جذوة المقتبس » للحميدي [ص/١٨٧] ، و« مطمح الأنفس » لابن خاقان [ص/١٥٣ـ١٦٦] .

(١) في الأصل : « سفها » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) أي : في إحضار وصِيِّه . علىٰ حذْف مضاف . ينظر : « » [/] .

(٣) أيْ : كي تطْلب له العِوض فيما هو خير من ذلك . يقال : اعْتاض منه . أيْ : أخذ العِوض . واسْتعاض منه . أيْ : طلب العِوض . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/٢٢١/ مادة : ع وض] .

(٤) جمْع : « ضيْعةٍ » . وهي العقار . وقيل : هي كلّ ما يمْتلِكه الإنسان مِن مالٍ وأرْضٍ . ينظر : « تهذيب اللغة » للأزهري [٣/٤٧] . و« المصباح المنير » للفيومي [٢/٣٦٦/ مادة : ض ي ع] .

(٥) أي : أحجارها ، جمْع : « قرْمد » . وهي حِجارةٌ يبْنىٰ بها ، أوْ يغطّىٰ بها وجْه البِناء . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبيدِيِّ [٩/٣١ـ٣٢/ مادة : ق ر م د] . و« المعجم الوسيط » [٢/٧٣٠] .

(٦) أيْ : لا تطْلبِ العِوض بها .

(٧) واحِدة السّاج ، وجمْعها : « ساجاتٌ » . وهو ضرْبٌ من الشّجر عظيمٌ خشبه صلْبٌ أحمر مع غبْرةٍ وسوادٍ ، طويل البقاءِ بطيء الفساد ، لا تأكله الأرضة . ويبْدو أنه كان يسْتخدم في البناء وعملِ السّقوف . ينظر : « الطراز الأول » لابن معصوم [٤/١٣٣] .

(٨) أي : بالعرْض . ينظر : « مختار الصحاح » للرازي [ص/٢٠٥/ مادة : عرض] .

لِلسّفيهِ منها أضعاف هذا ، فإنّي لا آمن التّحامل مِن هذا الفتى ، فمضى الوصيّ وشرع في إنزالِ السّقوف ، وبيعِ الأنقاض ، فبلغ ذلك الحاجِب فعزّ عليه ، وقال للمستنصِر : القاضِي يهدِم دور السّفهاءِ ، ويبيع أنقاضها ، فعجب مِن ذلك !

فلمّا دخل عليه القاضِي قال : بلغنِي أنّك تفعل كذا وكذا ، فأين وجدت هذا ؟ فقال له : في كِتابِ اللهِ تعالى . قال : وأين موضِع هذا مِن كِتابِ اللهِ ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ [الكهف : ٧٩] .

وإنّما فعلت الذي بلغ أمِير المؤمِنِين في دارِ فلانٍ متأوِّلًا كِتاب اللهِ . فقال له : ومن كان المِلك الذي وراءها وأراد غصبها ؟

فقال له : القائِم على رأسِك ، وحكى له القِصّة بِحضرتِهِ ، وقال : قد استأنف [ق/١٦١/و] مِن سقوفِها أضعاف ما أعطى ، وبقِيتِ القاعة فضلًا بعد فضلٍ ، فخجِل الحاجِب .

وقال **المستنصِر** : ما شككت أنّ عِندك النّجوح[١] بما رافقتك عليه . وسكت عنه »[٢] .

وصِلاته رحمهُ اللهُ معلومةٌ مشهورة في احتِسابِهِ على الحاجِبِ جعفر ومن دونه مِن كِبارِ رِجالِ السّلطانِ كان ينهِي أخبارهم إليه ، ويواجِههم بها بين يديهِ ،

---

(١) كذا رسمها الناسخ : « النجوح » ، ولم نجدها في كتبِ المعاجم التي بين أيدينا الآن ، وكأنها بمعنى : « النجْح » و« النّجاح » .

(٢) هذه القصة في سياق أطول : مذكورة في : « مطمح الأنفس » لابن خاقان [ص/٢٥٢ـ٢٥٤] . و« غصن الطيب » للمقري [٢/١٦ـ١٧] .

مع عِلمِهِ بموضِعِ جعفر منه ، وأنّه كان يقوده كيف شاء ، وأنّ هوىٰ مولاه كان تبعًا لِهواه ، فما منعه ذلك مِن القِيام بِما يلزمه مِن تأييدِ الحقّ ، ونصرِ الضّعِيفِ بِما يقدِر عليه .

وله حِكايةٌ طرِيفة ملِيحة ، له فيها أبياتٌ حِسان ، ذاعت فيها وسرت بها .

حكاية طريفة مليحة، له فيها أبيات حِسان

قال أبو عمر : حدّثنِي ابنه أبو العاصِي قال : أراد القاضِي عِيادة ابنِ شهيدٍ[1] ذِي الوِزارتينِ في عِلّتِهِ التي مات فيها ، فقال لي : اركب معِي إلىٰ ابنِ شهيدٍ[2] نعوده ، فركِبنا وأتينا داره ، واستؤذِن لنا عليه فدخلنا ، وإذا هو وراء السِّترِ ، . . .[3] إليّ ، فدخل القاضِي معه وراء السِّترِ وبقِيت . فقال : من هذا معك ؟ قال : ابنِي فلان ، وكنت يومئِذٍ حدثًا[4] جِدًّا ، فدعا لنا .

ثم سمِعته يقول للقاضِي : ترىٰ ما نزل بِي مِن العِلّة ، ترجو[5] لِي أن يكون في تلك[6] تخفِيفٌ مِمّا فرط[7] ؟

---

(١) هو الْوزير أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بْن عِيسىٰ بن شهيْد القرطبي . سبقتْ ترجمته .

(٢) في الأصل : « سعيد » . والصواب ما أثبتناه .

(٣) كلمة بالأصل لم تتضِح لنا ، وقد رسمها الناسخ هكذا : « ادحل » !

(٤) أيْ : صغِيرًا .

(٥) زاد الناسِخ هنا بعد الواو ألِفًا : « ترْجوا » . وهذا الصّنِيع يوجد في كثِيرٍ مِن النّسخ الخطِّيّة ، وهو وجْهٌ مِن وجوهِ الكتّابِ القدامىٰ ، فقد كانوا يثْبِتون تلك الألِف في آخِرِ الفِعْل ، سواء دلّ علىٰ مفْردٍ أوْ جمْعٍ . وينظر في ذلك : « أدب الكاتب » لابن قتيبة [ص/ ٢٢٥ـ٢٢٦] .

(٦) أيْ : في تلك العِلّة .

(٧) هنا حاشية إزاء هذا السطر جاء فيها : « وأن ذلك يكفِّر عنِّي بعض ما مضىٰ مِن ذنوبِي . . . =

فقال له القاضي : نعم يا سيِّدي ، لا شكّ في ذلك . فقال : واللهِ لوددت أنّها أتت علىٰ جسمي . وكان في أوّلِ دخولِهِ إليه ومكالمتِهِ إيّاه مِن خلفِ السِّتر ، قال له : كيف حالك يا سيِّدي ؟ فقال : وما حال من لا يأكل اللّوز حتىٰ يمضغ له ! وكانت عِلّته آكِلةً نزلت في وجهِهِ ، فدعا له القاضِي ، ودعوت له وانصرفنا ، فلمّا كان صباح يومٍ ثانٍ ؛ كتب القاضِي إليه أبياتًا ، وهي :

كيف أنت حالك يا سيِّدي[1]	وحالة الماضِغِ لِلّوزِ
لو ما عطيته[2] علىٰ جوزةٍ	ثمّ اشترطت المضغ لِلجوزِ
فتارةً تنعم فِي ذا وذا	وتارةً فِي جنّةِ الفوزِ
حتّىٰ إذا ما نِلت مِن كلٍّ ذا	تحمّل السّرح[3] علىٰ القوزِ
إن تمتحِن ذلِك ألفيته	أحلىٰ مِن السّكّرِ والموزِ
وأنت مهما ارتبتنِي ناصِحًا	أدركت ما يرتاب بِالرّوزِ
واجتنِبِ المحرم لا تأتِهِ	فإنّه حصِّر بِالضّوزِ
من زاد فِي فاقتِهِ فليحز	ذوِي الأمانِي أيّما حوزِ

= القاضي . . . » . وآخِر الحاشية مطموس ! فلا يتبيّن هل هو لحقٌ من أصْل الكتاب ، أمْ بيانٌ لِما وقع في نسخةٍ أخرىٰ أوْ في مصدر آخر نقل القصة !

(١) هذا الشطر مكسور الوزن .

(٢) في الأصل : « عطيت » . ولعل الصواب ما أثبتناه . وبه يستقيم الوزن .

(٣) هكذا رسمها الناسخ ، ولعل المراد بالسّرْح : شجرٌ ينْبت في السّهْل ، واحِدته : سرْحةٌ ، بالهاء . ينظر : « شمس العلوم » للحِمْيري [٥/ ٣٠٤١] .

حوز مجيدٍ[1] بات فِي بابةٍ[2] كفوتِ[3] من هندس فِي الأوزِ
ولفظةٌ قال بِها قائِلٌ أنّ اللّوى يدعى بِعلّوزِ

تفسير ما ورد في الأشعار السابقة من الغريب

غرِيبها[4] :

القوز : جبيلٌ[5] صغِير[6] .

والرّوز : التّقدِير . يقال : رزت[7] الشّيء أروزه ؛ إذا قدّرته فعرفت أخفِيفٌ [ق/١٦١/ظ] هو أم ثقِيلٌ ؟ وكذلك : رزت عقل الرّجلِ ؛ لِيعلم أرصِينٌ هو أم ضعِيفٌ[8] .

والضّوز : المنع[9] .

---

(١) في الأصل : « محيد » بالحاء ! ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) في الأصل : « بابه » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والبابة : هي الوجْه الذِي يرِيده المرْء ويصْلح له . ينظر : « تاج العروس » للزّبيدي [٢/ ٤٩/ مادة : باب] .

(٣) هكذا رسمها الناسخ !

(٤) أيْ : هذا بيان غريب الكلمات الواقعة في تلك الأبيات .

(٥) في الأصل : « حنبل صغيرة » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) أيْ : جبلٌ مِن الرّمْل ، صغِيرٌ مسْتدِيرٌ . وجمْعه : أقْوازٌ ، وأقاوِز ، وأقاوِيز ، وقِيزانٌ . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٥/ ٣٩٨/ مادة : ق وز] . و« تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [١٥/ ٢٩١/ مادة : ق وز] .

(٧) أيْ : جرّبْت . يقال : رزْت الشّيء أروزه ؛ إذا جرّبْته . ينظر : « مقاييس اللغة » لابن فارس [٢/ ٤٥٨/ مادة : ر وز] .

(٨) ومِن معانِي الرّوْز أيضًا : الامْتِحان . يقال : رزْت ما عند فلانٍ ؛ إذا اخْتبرْته وامْتحنْته . ينظر : « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير [٢/ ٢٧٦/ مادة : روز] .

(٩) يقال : ضازه حقّه ؛ إذا منعه . ويقال بالهمْز أيضًا : ضأزه يضْأزه ضأْزًا . ينظر : « كتاب الأفعال » للمعافِري [٢/ ٢٣٨] . و« لسان العرب » لابن منظور [٥/ ٣٦٣/ مادة : ض ء ز] .

وأمّا الأوز : فضربٌ مِن حسادِ[1] الهِند .

واللّوىٰ : وجعٌ يأخذ في المعِدة ، ويقال له : العِلّوز[2] .

حكايته في الإنكار على ابن عبد ربه

ومِن بدِيهتِهِ[3] : [أخبرني أبو مروان عبيد الله بن محمّد بن قاسم الكزنيّ ـ وكان من ثِقات النّاسِ وعقلائهم ـ][4] ، قال أبو عبيدٍ القاسِم بن خلفٍ الفقيه الطّرطوشِيّ[5] : [« نزل القاضِي منذر بن سعيدٍ علىٰ أبي بطرطوشة[6]][7] ،

---

(١) هكذا رسمها الناسخ ! ويمكِن قراءتها : « الحشاد » . ولم يتضِح لنا المعنىٰ المراد هنا .

(٢) العِلّوْز ـ بِكسْرِ العيْن ، ولامٍ مشدّدةٍ مفْتوحةٍ ، وسكونِ الواو ـ : هو لغةٌ في « العِلّوْص » . وهو وجع البطْن والتّخمة . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيّ [١٥/ ٢٤٣/ مادة : ع ل ز] . و[١٨/ ٤٣/ مادة : ع ل ص] .

(٣) هذه القصة التي سيسوقها المؤلف الآن وقع فيها سقْطٌ في عِدّة مواضع منها ، فإما أن يكون هذا السقْط من الناسِخ نفسِه ، أوْ هكذا وقع له في النسخة التي نقل منها ! وقد ساق الحافظ ابن الأبار هذه القصة بتمامها بسنده إلىٰ ابن عبد البر مسْندةً في « التكملة لكتاب الصلة » [١/ ٢٣٩] . فأكْملْنا منه السقط المشار إليه مع التنبيه عليه في مواضعه .

(٤) ما بين المعقوفتين سقط مِن الأصل ، واستدركناه من : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [١/ ٢٣٩] . وشيخ ابن عبد البر : مضتْ ترجمته في أول خبرٍ ساقه المؤلِّف في الكتاب .

(٥) هو : أبو عبيْدٍ القاسِم بن خلفِ بن فتْحِ بن عبْدِ اللهِ الجبيْرِيّ الطّرْطوشِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٧١هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [١/ ٤١٠ـ ٤١١] . و« ترتيب المدارك » للقاضي عياض [٧/ ٥ـ ٧] .

(٦) طرْطوشة : بضم الطاء الأولىٰ ـ وتفْتح أيضًا ـ ثم السكون ثم طاء أخرىٰ مضمومة ، وواو ساكنة ، وشين معجمة : مدينة شهيرة بالأندلس . ينظر : « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٤/ ٣٠] .

(٧) ما بين المعقوفتين سقط مِن الأصل ، واستدركناه من : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [١/ ٢٣٩] . فقد ساق هناك الخبر بتمامه .

وهو يومئذٍ قاضِي القضاة في الثّغور الشّرقِيّة[1] ، فأنزله أبِي[2] في بيتِهِ الذي كان يسكنه ، [فكان][3] يفرِّج[4] في كتبِهِ[5] ، فمرّ علىٰ يدِهِ كِتابٌ فيه أرجوزةٌ أو قصِيدةٌ ـ أنا أشكّ[6] ـ لابنِ عبد ربِّهِ[7] ، ذكر فيها الخلفاء ، فجعل معاوِية رحمهُ اللهُ رابِعهم ، [ولم يذكر علِيًّا فيهم ، ثمّ وصل ذلِك بِذِكر الخلفاء مِن بنِي مروان إلىٰ عبد الرّحمن بن محمّد ، فلمّا رأىٰ ذلك منذِرٌ غضِب وسبّ ابن عبد ربِّهِ ، وكتب][8] في حاشِيةِ الكِتاب . قال أبو عبيدة : الأبيات بِخطِّهِ في الحاشِية[9] ، وهي :

أو ما[10] علِيٌّ ـ لا برِحت ملعّنًا   يا ابن الخبِيثةِ ـ عِندكم بِإمامِ ؟

---

(١) وذلك قبل أنْ يلِي قضاء الجماعة بقرْطبة . ينظر المصدر السابق .

(٢) هو خلف بْن فتْح بْن عبْد الله بْن جبيْر ، من أهْل طرْطوشة ، يعْرف بالجبيْري ويكْنىٰ أبا القاسِم ، وهو والِد أبي عبيْد القاسِم بْن خلف الجبيْري الْفقيه . ينظر : ترجمته في : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [١/ ٢٣٩] .

(٣) في الأصل : « أنه » . ولا يسْتقيم به السياق ، وفي « التكملة » لابن الأبار [١/ ٢٣٩] : « فكان إذا تفرّغ نظر في كتب أبي . . . » .

(٤) يقال : فرّج الرجل الشّيء . أيْ : فتحه . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٤٦٥/ مادة : ف ر ج] .

(٥) أيْ : في كتبِ خلفِ بن فتْحِ بن عبد اللهِ الجبيْرِيِّ .

(٦) عند ابن الأبّار : « أرْجوزةٌ » . بدون شكٍّ .

(٧) هو : أبو عمر شِهاب الدِّينِ أحْمد بن محمّدِ بن عبد ربِّهِ الأنْدلسِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٢٨هـ) ، وهو صاحِب كِتاب : « العقد الفريد » .

(٨) ما بين المعقوفتينِ سقط مِن الأصل ، واستدركناه مِن : « التكملة لكتاب الصلة » لابن الأبار [١/ ٢٣٩] . فقد ساق هناك الخبر بتمامه مسْندًا كما أشرنا إليه .

(٩) أيْ : الأبْيات التي كتبها بِخطِّهِ القاضي منْذر بن سعِيدٍ علىٰ حاشيةِ نسْخةِ أرْجوزةِ ابنِ عبد ربِّهِ التي كان يمْتلِكها خلف بن فتْحِ بن عبد اللهِ الجبيْرِيِّ .

(١٠) بالأصْل : « ألا » . والمثْبت من كتاب ابن الأبار ، و« نفح الطيب » للمقري [٢/ ٥١١] .

ربّ الكِساءِ وخيرِ آلِ محمّدٍ   داني[1] الولاءِ مقدّمِ الإسلامِ

حكايةٌ في تعليمه وتأديبه لأولاده كي يتأسّوا به

وكان طويل الصّلاة ، متهجّدًا باللّيل ، كثير العمل في السّرّ ، أخبرني من كان يبيت عنده : « أنّه كان يبيّت أولاده في باحاتٍ[2] تقرب مِن موضعِ صلاتِهِ . قال : وكلّمته في ذلك وقلت له : لِم لا تبيّت بنِيك هاهنا ؟ فقال : لعلّهم يتأسّون بِي ، وينتفِعون بِما يبصِرون مِنّي » .

وهذا مذهبٌ جمِيلٌ ، وبصِيرةٌ حسنة في التّأدّب ، قد ينتفِع الابن بِما يبلغه عن الأب ، فكيف بِما يعايِنه ؟

حكايتان في تركه الرّياء والتّكلّف والاستعلاء

وكان قد أسقط التّكلّف ، وترك الرِّياء والاستِعلاء في جمِيعِ أمورِهِ ، ظاهِرِها وباطِنِها ، في لِباسِهِ ، ومشيِهِ ، وقعودِهِ ، فيحمِل نفسه علىٰ طبعِهِ وما جبله الله عليه .

أخبِرت عن بعضِ رِجالِ السّلطانِ الكبراء : « أنّه خلا معه في دارِهِ قائِلةً[3] ، قال : فنزعنا قلانِسنا[4] عن رءوسِنا كما يفعل الرّجل إذا خلا في دارِهِ ، فنحن

---

(1) بالأصْل : « دار » . والمثْبت من المصدريْنِ السابقيْنِ .

(2) في الأصل : « مباحات » . هكذا مضبوطًا ! ولعل الصواب ما أثبتناه . والباحات : جمْع باحة ، وهي هنا بمعنىٰ الفِناء . ينظر : « معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٢٦١] .

(3) القائِلة : هي وقْت القيْلولة ، وقد تطْلق علىٰ القيْلولة . وهي النّوم في نِصْفِ النّهار . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٥٢١/ مادة : ق ي ل] .

(4) جمْع : « قلنْسوة » . والقلنْسوة - بِفتْحِ القاف واللّام ، وسكونِ النّونِ ، وضمّ السِّين - : لِباسٌ للرّأس مخْتلِف الأنْواع والأشْكال . ينظر : « تحرير ألفاظ التنبيه » للنووي [ص/ ٢٨٣] . و« المصباح المنير » للفيومي [ص/ ٤٢/ مادة : ب رن س] ، =

كذلك نتحدث إذ[1] علم بمكانِ رجلٍ مِن أهلِ الدّنيا والسّلطان نبأ به ، فأذن له ، وجعلت أنا أتحفز وأتناول قلنسوتي ، فقال لي : مه[2] لِم تفعل هذا ؟ دعِ التّصنّع والتكلّف للنّاس فليس مِمّا يصلح » .

قال أبو عمر : وأخبرت[3] عن القاضِي أبي بكرٍ محمّدِ بن إسحاق بن السّلِيم[4] ـ وكان قبل وِلايةِ القضاء وبعده[5] فقيهًا زاهِدًا متقشِّفًا ـ : « أنه ذكر يومًا منذِر بن سعِيدٍ ومذاهِبه وتواضعه فقال : كنت عِنده ، اتّفق أن أعلمه بعض أعوانِهِ بِحضورِ شخصٍ كان أرسله فيه مِمّن أراد تأدِيبه ، فقال لِي ـ وقد أمر بإِدخالِهِ ـ : إذا رأيت[6] أنِّي قد ضربته عِدّة كذا ؛ فاشفع له وانزعِ السّوط مِنِّي ؛ لِيرىٰ أنّ الذي كان يجِب مِن عقوبتِهِ فوق ذلك ، فيكون زِيادةً في تأدِيبِهِ ونزوعِهِ[7] .

فظننت أنّه سيناوِل ذلك غيره علىٰ ما يفعل النّاس ، فلمّا وقف بالبابِ أدناه ، والرّجل يفزع ويتأنّىٰ في دنوِّهِ ، فلم يزل يدنِيهِ حتىٰ أقعده أمامه ، وكلّ

= و[ص/ ٥١٣/ مادة : ق ل س] .

(١) في الأصل : « نحدث إذا » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) مهْ : اسْم فِعْلٍ بمعنىٰ : الزجْر . ينظر : « شمس العلوم » للحميري [٩/ ٦١٧٥] .

(٣) في الأصل : « وأخبرني » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) هو : أبو بكْرٍ محمّد بن إسْحاق بن منْذِرِ بن إبْراهِيم بن محمّدِ بن السّلِيم القرْطبِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٦٧ هـ) . ينظر ترجمته في : « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي [ص/ ٧٩ـ ٨٠] . و« تاريخ الإسلام » للذهبي [٨/ ٢٧٥] .

(٥) في الأصل : « وبعد » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) في الأصل : « رأيته » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٧) أيْ : كفِّهِ عن فِعْلِ ذلك . يقال : نزع فلانٌ عن الشّيء نزوعًا ؛ إذا انْتهىٰ عنه وكفّ . ينظر : « تاج العروس » لِلزّبِيدِيِّ [٢٢/ ٢٣٩/ مادة : ن ز ع] .

ذلك أنكره مِن فِعلِهِ ، فلمّا صار بِمكانٍ. . .[(١)] ؛ أمره بالقعود ، وجعل يتقرّعه[(٢)] ويوقِفه علىٰ ذنبِهِ ، ويتهدّد بِما هو أشدّ مِن الضّرب ، ثم رفع المصلّىٰ فأخرج سوطه ، وجعل يضرِبه بِيدِهِ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ العدد ؛ فشفعت فيه ، وتناولت السّوط مِن يدِهِ » [ق/١٦٢/و] .

حكايتان في كونه كان لا يذلّ للسّلطان وأولي الأمر

قال أبو عمر: وكان لا يذِلّ للسّلطانِ[(٣)] ، ويوفِي نفسه حقّها ، أخبرني مخبِرٌ أنّه قال له : « كان ولِيّ العهدِ قد أجلىٰ لِي مرّةً في شيءٍ ، فأنِفت وانصرفت بغيرِ إذنٍ متغاضِبًا ، فغفل عنِّي ، ورجا أن أستجدِي له[(٤)] ، وأن أتعرّض لِمرضاتِهِ ، فلم أفعل ، فمرّ بِي سِتّة عشر شهرًا لم أره ، ولم أمرّ إليه ، ولا كتبت له بِحرفٍ ، فلمّا طال انتِظاره ويئِس مِن ابتِدائِي ؛ ابتدأ بِفضلِهِ فأرسل فِيّ[(٥)] وأدخلنِي إلىٰ نفسِهِ » .

قال أبو عمر: أخبرنِي بعض شيوخِي عن بعضٍ من كان يخدِم حسداي[(٦)] ، وكان خادِمًا لِولِيِّ العهد الحكمِ في كثِيرٍ مِن أمورِهِ. . .[(٧)] في أمرِ الكتب : « أنّه

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٢) مِن : « التّقْرِيع » . وهو التّأْنِيب والتّعْنِيف باللّوْم . يقال : قرّعْت الرّجل ؛ إذا وبّخْته ولمْته وعنّفْته . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [٨/ ٢٦٦/ مادة : ق ر ع] .

(٣) في الأصل : « يذل السلطان » . ولعل الصواب ما أثبتناه . والمعنىٰ أنه : كان رحمهُ اللهُ قويًا في أحْكامِهِ يعْدِل فيها ، ولا تأْخذه لوْمة لائِمٍ في الحقِّ .

(٤) أيْ : أسْأله وأطْلب منه العفو . ينظر : « لسان العرب » لابن منظور [١٤/ ١٣٥/ مادة : ج د ا] .

(٥) أي : أرسل في طلبِي .

(٦) هو : حسْداي بن إسْحاق اليهودِيّ . وقد تقدّمتْ ترْجمته .

(٧) مقدار كلمة غير واضحة .

لمّا أتىٰ منذر بن سعيدٍ مِن المشرِق ، وجرىٰ ذِكره عند وليّ العهد ، واستقدمه مِن وطنِهِ إلىٰ قرطبة ؛ جرىٰ أمره علىٰ يدِ حسداي بما أمره به وليّ العهد ، وسأله عن أشياء ، وسمِع جوابه فيها ، ثم دعاه إلىٰ ضِيافتِهِ ، فتعالىٰ عليه وامتنع ، فلمّا تقضّىٰ ذلك وانصرف منذرٌ ؛ جعل حسداي يتبعه ببصرِهِ شاخِصًا[١] ، ويحرِّك رأسه متعجِّبًا منه ، وقد هاله مشهده » .

وكذلك كان رابِط الجأش[٢] ، صلب النّفس ، ذو منظرٍ ومخبرٍ .

ما جاء في تواضعه

وكان بِسببِ تواضعِهِ يصِف قدِيم أمرِهِ وأحوالِهِ ، مِمّا كان غيره يأنف أن يسمعه مِن غيرِهِ[٣] ، فضلًا أن يصِف بذلك نفسه .

أخبرني بعض ولدِهِ قال : « سمِعته مرّةً وقد ذكروا أوّل إقبالِهِ مِن بلدِهِ ، فقال : وأنا يومئِذٍ في كِساءٍ » .

قال : وسمِعته مرّةً ثانيةً يقول : « لمّا دخلت قرطبة وافقت ذلك الوقت أيّام أبي عمر بن عبد ربِّهِ ، وله دولةٌ ومجلِسٌ يعمّر بالنّحو ، والشِّعر ، والأدبِ ، والمسائِلِ ، في كلٍّ من يحضره ، كلّ عالِمٍ وأدِيبٍ ، فمضيت مع من مضىٰ ، فوافقت المجلِس قد احتفل وأنا بِكِسائِي ، فلم يكن لِي موضِعٌ إلّا موضِع الأخفاف[٤] ،

---

(١) أيْ : ينْظر إليه بِعيْنِهِ دون أنْ يطْرِف . يقال : شخص الرّجل بصره ؛ إذا فتح عيْنيْهِ لا يطْرِف . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/٣٠٦/ مادة : ش خ ص] .

(٢) الجأْش : القلْب ، والنّفْس ، والجنان . يقال : فلانٌ رابِط الجأْش : أيْ ثابت القلْب لا يرْتاع ولا ينْزعج للعظائِم والشّدائد . ينظر : « النهاية في غريب الحديث والأثر » لأبي السعادات ابن الأثير [١/ ٢٣٢/ مادة : جأش] .

(٣) في الأصل : « يأنف ان ان يسمع أن يسمعه » ! ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤) أي : المكان الذي توضع فيه الأخْفاف . وهي جمْع : « خفّ » . وهو ما يلْبس في=

فألقىٰ ابن عبد ربِّهِ مسألةً ، واختار كلامًا ؛ فتكلّم العلماء والأدباء واختلفوا ، وحضرني فيها جوابٌ فقلت لِمن يلِيني فِيها الجواب إليه[1] . فقال : أروني من قال هذا ؟ فقال النّاس : ذا ، وأشاروا إليّ ، فقال لِي : ادن ، فلم يزل يدنيني حتىٰ انتهيت إليه ؛ فأقعدنِي إلىٰ جنبِهِ » .

حكاية في قلّة مباهاته بعلمه

ومِن قِلّةِ مباهاتِهِ بِعِلمِهِ : ما أخبرني به أبو محمّدٍ عبد اللهِ بن محمّدِ بن أسدٍ[2] قال : « حضرت مجلِسه وقد أوعد القارِئ بِقِراءةِ الدّولة[3] مِن كِتاب « العين »[4] ، ثم وصل بِقِراءتِهِ إنشادِيّاتِ القاضِي المذكورة بعد فراغِ خطبتِهِ عند قدومِ وفودِ الرّوم ، فلمّا ابتدأ بها كأنّ القاضِي لم يستجِدّ ذلك ، فقام واستقبل القِبلة وهو في المسجِد ، فلم يزل يصلِّي والقارِئ يقرأ ؛ حتىٰ أتىٰ علىٰ آخِرها » .

قال أبو عمر : هذا آخِر ما وصل مِن أخبارِهِ إلينا ، وما غاب منها عنّا ؛ فهو

= الرِّجل مِن جِلْدٍ ونحوه مِن الأحْذِية . ينظر : « المصباح المنير » للفيومي [ص/١٧٥/ مادة : خ ف ف] . و« معجم اللغة العربية المعاصرة » [١/ ٦٧٢] .

(١) كذا بالأصل !

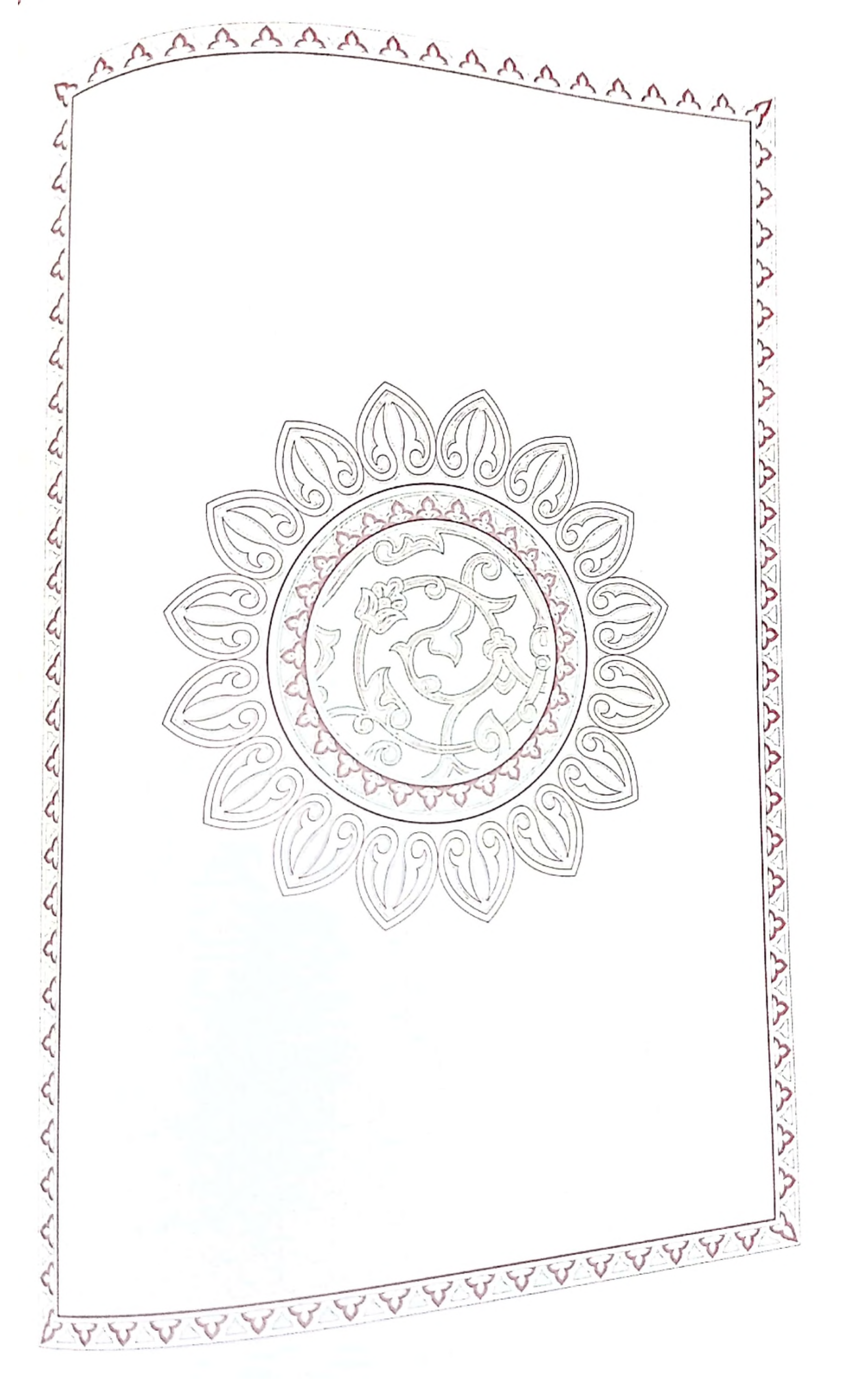
(٢) هو أبو محمّد عبد الله بن محمّدِ بن عبد الرّحْمنِ بن أسد الجهنِيّ الأنْدلسِيّ ، المتوفّىٰ سنة : (٣٩٥هـ) . مضت ترجمته .

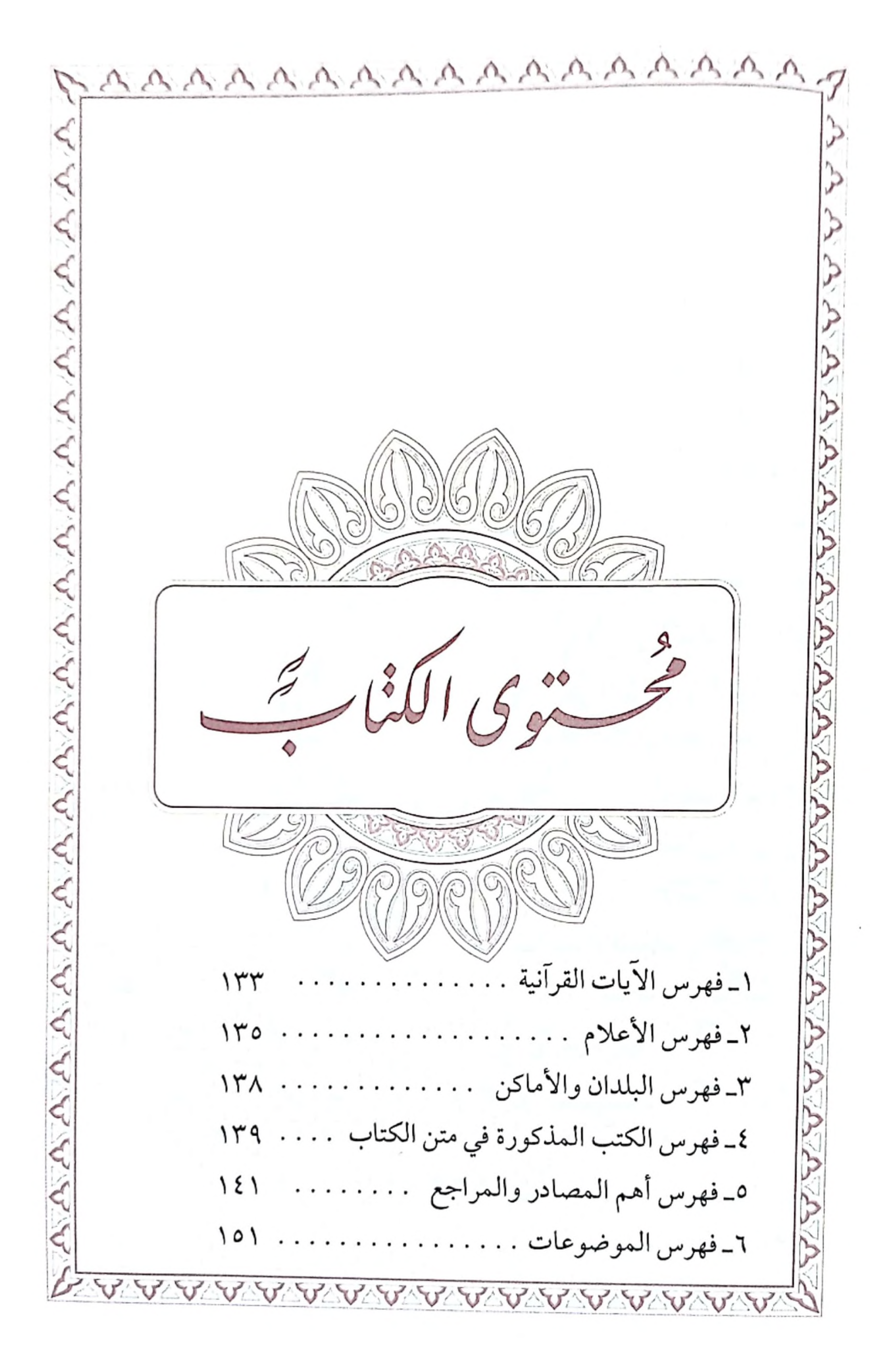
(٣) مضىٰ بيان أن الدّوْلة جمْعها : دول ، وجرىٰ إطلاقها في تصاريف جماعة من أهل الأندلس بمعنىٰ الدرْس والجلوس لمدارسة العلوم . ومنه قول أبي القاسم بن فرْقد في حق أبي بكر ابن صاف : « كان يحدِّثنا ـ متعجِّبًا مِن أمْرِه ـ أنه كان في أوّلِيتِهِ لا يفوه عند سماع الدّول ببِنْت شفة . . .إلخ » . ينظر : « الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة » للمراكشي [٤/ ٢٥٨] . مع التعليق عليه .

(٤) للخليل بن أحمد رحمهُ اللهُ .

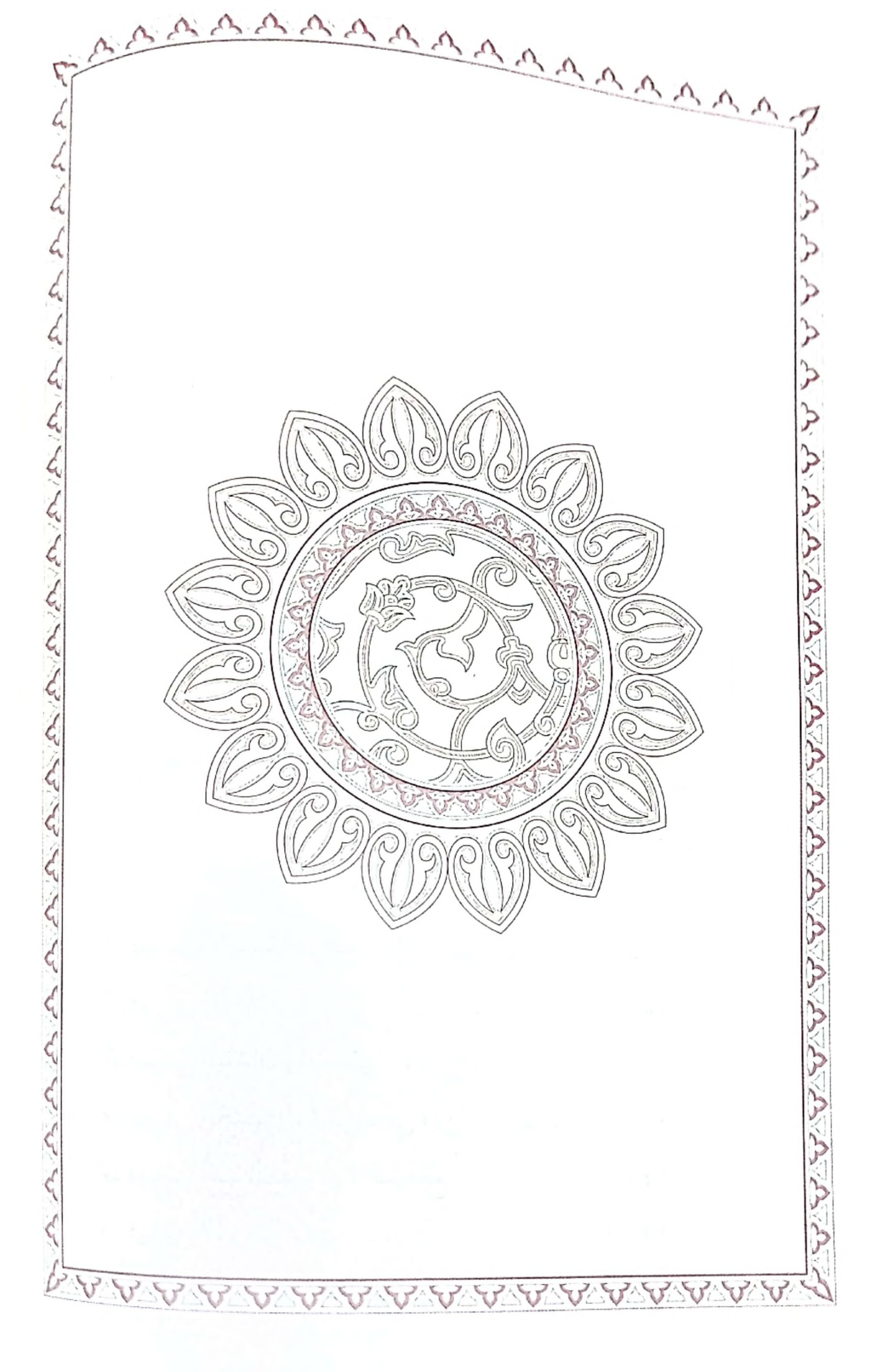
ـ إن شاء الله ـ نحو ما ذكرنا ، والحمد لله ربِّ العالمِين .

تمّ الكِتاب بِحمدِ الملِكِ الوهّاب ، وصلّى الله على سيّدِنا محمّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلّم [ق/١٦٢/ظ] .





مُحتوى الكتاب



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام

فهرس البلدان والأماكن

فهرس الكتب المذكورة في متن الكتاب

فهرس أهم المصادر والمراجع

١ـ ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ : لليث سعود جاسم . طبعة : دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصورة ، مصر . الطبعة : الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ .

٢ـ أدب الكاتب (أو أدب الكتّاب) : لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري . تحقيق : محمد الدالي/ طبعة : مؤسسة الرسالة .

٣ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني . تحقيق : جماعة من المحققين/ طبعة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة . (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م) .

٤ـ إعراب القرآن : لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . تحقيق : زهير غازي زاهد/ طبعة : عالم الكتب ـ بيروت . سنة : (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م) .

٥ـ اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار : لأبي محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي الأندلسي . تحقيق : محمد سالم هاشم/ طبعة : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) .

٦ـ الإمام منذر بن سعيد البلوطي وتحقيق رسالتين له : لعبد الرّحمن السِّجلماسِيّ . طبعة : دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ، الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م) .

٧ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري/ طبعة : المكتبة العصرية . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) .

٨ـ البداية والنهاية : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير . تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي/ طبعة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر . الطبعة : الأولىٰ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) .

٩ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** : لأبي عبد الله محمد بن محمد ابن عذاري المراكشي . تحقيق ومراجعة : ج . س . كولان ، إ . ليفي بروفنسال/ طبعة : دار الثقافة ـ بيروت . الطبعة : الثالثة (١٩٨٣م) .

١٠ـ **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب** : لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي المقريزي . تحقيق : فردناد واسطون فيلد (مستشرق ألماني) . طبعة : جوتنجن ـ ألمانيا ، عام (١٨٤٧م) .

١١ـ **التكملة لكتاب الصلة** : لابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي . تحقيق : عبد السلام/ طبعة : دار الفكر للطباعة ـ لبنان ، سنة النشر : (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) .

١٢ـ **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة** : لأبي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا السّودوني . دراسة وتحقيق : شادي بن محمد بن سالم آل نعمان/ طبعة : مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ـ صنعاء اليمن . الطبعة : الأولى (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م) .

١٣ـ **الجواهر والدّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** : لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . تحقيق : إبراهيم باجس عبد المجيد/ طبعة : دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، لبنان . الطبعة : الأولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) .

١٤ـ **الخصائص** : لأبي الفتح عثمان ابن جني/ طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة : الرابعة .

١٥ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** : لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ، ابن فرحون اليعمري . تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور/ طبعة : دار التراث للطبع والنشر ـ القاهرة .

١٦ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار** : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري . تحقيق : إحسان عباس/ طبعة : مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت . الطبعة : الثانية (١٩٨٠م) .

١٧ـ **الصحاح في اللغة**= تاج اللغة وصحاح العربية : لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار/ طبعة : دار العلم للملايين ـ بيروت . الطبعة : الرابعة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) .

١٨ـ **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس** : لأبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال . عني بنشره وصححه وراجع أصله : السيد عزت العطار الحسيني/ طبعة : مكتبة الخانجي . الطبعة : الثانية (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م) .

١٩ـ **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس** : لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال . عني بنشره وصححه وراجع أصله : السيد عزت العطار الحسيني/ طبعة : مكتبة الخانجي . الطبعة : الثانية (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م) .

٢٠ـ **الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول** : لعلي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بـ« ابن معصوم المدني » . تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث . قدم له : السيد علي الشهرستاني/ طبعة : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث .

٢١ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** : لأبي الحسن عز الدين علي محمد بن محمد ابن الأثير/ طبعة : دار صادر ـ بيروت .

٢٢ـ **اللباب في عِلل البناء والإعراب** : لأبي البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري . تحقيق : عبد الإله النبهان/ طبعة : دار الفكر ـ دمشق . الطبعة : الأولىٰ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م) .

٢٣ـ **اللمع في العربية** : لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي . تحقيق : فائز فارس/ طبعة : دار الكتب الثقافية ـ الكويت .

٢٤ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** : لأبي الفتح عثمان ابن جِنِّي الموصلي/ طبعة : وزارة الأوقاف ـ المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية . سنة : (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) .

٢٥ـ **المستشرقون** : لنجيب العقيقي/ دار المعارف ـ مصر . الطبعة : الثالثة (١٩٦٤م) .

٢٦ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** : لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي/ طبعة : المكتبة العلمية ـ بيروت .

٢٧ـ **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية** : المؤلف : س . موستراس [قنصل روسية في إزمير] . ترجمة وتحقيق : عصام محمد الشحادات/ طبعة : دار ابن حزم ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (٢٠٠٢م) .

٢٨ـ **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار) ، طبعة : دار الدعوة .

٢٩ـ **المغرِب في ترتيب المعرب** : لأبي الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي المطرِّزي . تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار/ طبعة : مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب . الطبعة : الأولىٰ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) .

٣٠ـ **المفصّل في صنعة الإعراب** : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري . تحقيق : علي بو ملحم/ طبعة : مكتبة الهلال ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٩٩٣م) .

٣١ـ **المقفىٰ الكبير** : لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي . تحقيق : محمد اليعلاوي/ طبعة : دار الغرب الاسلامي ـ بيروت . الطبعة : الثانية (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) .

٣٢ـ **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب** : لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن بطال الركبي . تحقيق : مصطفىٰ عبد الحفيظ سالم/ طبعة : المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة (١٩٩١م) .

٣٣ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** : لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي/ طبعة : المكتبة العلمية ـ بيروت (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) .

٣٤ـ **إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة** : لأبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي/ طبعة : المكتبة العنصرية ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٤هـ) .

٣٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام . تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي/ طبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٦- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي/ طبعة : دار الكاتب العربي ـ القاهرة (١٩٦٧م) .

٣٧- تاج العروس من جواهر القاموس : لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى الزَّبِيدي/ طبعة : دار الفكر ـ بيروت . الطبعة : الأولى (١٤١٤هـ) .

٣٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي . تحقيق : بشار عوّاد معروف/ طبعة : دار الغرب الإسلامي . الطبعة : الأولى (٢٠٠٣م) .

٣٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام التدمري/ طبعة : دار الكتاب العربي ـ بيروت . الطبعة : الثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م) .

٤٠- تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بـ« ابن عساكر » . تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي/ طبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عام النشر : (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) .

٤١- تاريخ علماء الأندلس : أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي ، المعروف بـ« ابن الفرضي » . عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه : السيد عزت العطار الحسيني/ طبعة : مكتبة الخانجي ـ القاهرة . الطبعة : الثانية (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

٤٢- تاريخ قضاة الأندلس= المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا : لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي . تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة/ طبعة : دار الآفاق الجديدة ـ بيروت . الطبعة : الخامسة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .

٤٣ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** : لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني . تحقيق : محمد علي النجار . مراجعة : علي محمد البجاوي/ طبعة : المكتبة العلمية ـ بيروت .

٤٤ـ **تحرير ألفاظ التنبيه** : لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي . تحقيق : عبد الغني الدقر/ طبعة : دار القلم ـ دمشق . الطبعة : الأولىٰ (١٤٠٨هـ) .

٤٥ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك** : لأبي الفضل القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي . تحقيق : جماعة من الأساتذة/ طبعة : مطبعة فضالة المحمدية ـ المغرب . الطبعة : الأولىٰ .

٤٦ـ **تعليق الفرائد علىٰ تسهيل الفوائد** : لبدر الدين محمد ابن أبي بكر بن عمر الدماميني . تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدىٰ . رسالة دكتوراه . الطبعة : الأولىٰ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .

٤٧ـ **توجيه اللمع** : لأحمد بن الحسين بن الخباز . تحقيق : فايز زكي محمد دياب/ طبعة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ـ مصر . الطبعة : الثانية (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) .

٤٨ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** : لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله ابن أبي نصر الأزدي الحميدي/ طبعة : الدار المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة (١٩٦٦م) .

٤٩ـ **جمهرة أنساب العرب** : لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري . تحقيق : لجنة من العلماء/ طبعة : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .

٥٠ـ **حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك** : لأبي العرفان محمد بن علي الصبان/ طبعة : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) .

٥١ـ **دولة الإسلام في الأندلس** : لمحمد عبد الله عنان المؤرخ المصري/ طبعة : مكتبة الخانجي ـ القاهرة . الطبعة : الرابعة (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) .

٥٢- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** : لأبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي . تحقيق : خليل شحادة/ طبعة : دار الفكر - بيروت . الطبعة : الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

٥٣- **سير أعلام النبلاء** : لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي . تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط/ طبعة : مؤسسة الرسالة . الطبعة : الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

٥٤- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** : لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف . تحقيق : عبد المجيد خيالي/ طبعة : دار الكتب العلمية - لبنان . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) .

٥٥- **شرح التسهيل= المسمىٰ : تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد** : لمحب الدين الحلبي محمد بن يوسف بن أحمد ، المعروف بـ« ناظر الجيش » . تحقيق : علي محمد فاخر وآخرون/ طبعة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٨هـ) .

٥٦- **شرح المفصل للزمخشري** : لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الأسدي الموصلي ، المعروف بـ« ابن يعيش » ، وبـ« ابن الصانع » . قدم له : إميل بديع يعقوب/ طبعة : دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .

٥٧- **شرح صحيح مسلم**= المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي/ طبعة : دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة : الثانية (١٣٩٢هـ) .

٥٨- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** : لنشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني . تحقيق : حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله/ طبعة : دار الفكر المعاصر - بيروت ، ودار الفكر - دمشق . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

٥٩ـ **صفة جزيرة الأندلس= منتخبة من كتاب الروض المعطار** : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري . عنيَ بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها : إ . لافي بروفنصال أستاذ تاريخ المغرب العربي بجامعة الجزائر/ طبعة : دار الجيل ـ بيروت . الطبعة : الثانية (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

٦٠ـ **طبقات الشافعية الكبرىٰ** : لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي . تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو/ طبعة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ـ مصر . الطبعة : الثانية (١٤١٣هـ) .

٦١ـ **طبقات النحويين واللغويين** : لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم/ طبعة : دار المعارف . الطبعة : الثانية .

٦٢ـ **علم الاكتناه العربي الإسلامي** : لقاسم السامرائي/ طبعة : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض . الطبعة : الأولىٰ (٢٠٠١م) .

٦٣ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** : لأبي العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة . تحقيق : نزار رضا/ طبعة : دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

٦٤ـ **قصة الحضارة** : المؤلف : وِل ديورانت= ويليام جيمس ديورانت . تقديم : محيي الدين صابر . ترجمة : زكي نجيب محمود وآخرين/ طبعة : دار الجيل ـ بيروت . عام النشر : (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

٦٥ـ **كتاب الأفعال** : لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي ، ويعرف بـ« ابن الحداد » . تحقيق : حسين محمد محمد شرف/ طبعة : مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ـ القاهرة . عام النشر : (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) .

٦٦ـ **لسان العرب** : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علىٰ ابن منظور الأنصاري الإفريقي/ طبعة : دار صادر ـ بيروت . الطبعة : الثالثة (١٤١٤هـ) .

٦٧ـ **مجمع الأمثال** : لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري . تحقيق : محمد محييٰ الدين عبد الحميد/ طبعة : ٨١ ـ الناشر : دار المعرفة بيروت ، لبنان .

٦٨ـ **مجمع البحرين ومطلع النيرين (معجم لغوي شيعي)** : لفخر الدين الطريحي . تحقيق : السيد أحمد الحسيني/ طبعة : مكتبة المرتضوي ـ طهران . الطبعة : الثانية (١٣٦٥هـ) .

٦٩ـ **مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة** : اختصره : ابن الموصلي شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي . تحقيق : سيد إبراهيم/ طبعة : دار الحديث ـ القاهرة . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) .

٧٠ـ **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** : لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي . تحقيق : محمد علي شوابكة/ دار عمار ـ مؤسسة الرسالة . الطبعة : الأولىٰ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) .

٧١ـ **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب** : لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . تحقيق : إحسان عباس/ طبعة : دار الغرب الإسلامي ـ بيروت . الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٧٢ـ **معجم البلدان** : لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي/ طبعة : دار صادر ـ بيروت . الطبعة : الثانية (١٩٩٥م) .

٧٣ـ **معجم الرموز والإشارات** : لمحمد رضا المامقانِيّ/ طبعة : مهر ـ قم . إيران . الطبعة الأولىٰ (١٤١١هـ) .

٧٤ـ **معجم الغني= معجم إكتروني** : لعبد الغني أبو العزم .

٧٥ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة** : لأحمد مختار عبد الحميد عمر/ طبعة : عالم الكتب . الطبعة : الأولىٰ (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م) .

٧٦ـ **معجم ما استعجِم من أسماء البلاد والمواضع** : لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي/ طبعة : عالم الكتب ـ بيروت . الطبعة : الثالثة (١٤٠٣هـ) .

٧٧ـ **معجم مقاييس اللغة** : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي . تحقيق : عبد السلام محمد هارون/ طبعة : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) .

٧٨ـ نسبة ومنسوب : لمرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني/ الطبعة : الأولى (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م) .

٧٩ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** : لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني . تحقيق : إحسان عباس/ طبعة : دار صادر ـ بيروت .

٨٠ ـ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تحقيق : عبد الحميد هنداوي/ طبعة : المكتبة التوفيقية ـ مصر .

فهرس الموضوعات

فصلٌ

فصلٌ

فصلٌ

ملاحظات

أخبار القاضي

منذر بن سعيد البلوطي

وسيرته

بين يدي الكتاب

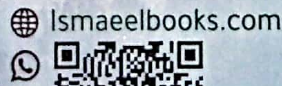
الكتاب الذي بين أيدينا، يضم بين دفَّتيه سيرةُ أحَدٍ أولئك الأعلام الكبار، هو: الشيخ الفقيه الخطيب القاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى.

والإمام ابن عبد البر، الذي كان من أوسع علماء عصره علما، و أغزرهم ثقافة، عَرَفَ عظيمَ فضلِ شيخِ شيوخِه: البلوطي، وعلمه، وأدرك سُمُوَّ منزلته وعلو شأنه، فخصَّه بهذا الكتاب، عارِضاً سيرة حياته مستقصياً فيها أخباره ومآثره ومناقبه، وقد جمع مادة كتابه من مخزون كتب التراجم والسير، ومن مروياته ومسموعاته.





9 781915 350312



Ismaeelbooks.com



